ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط – دراسة آثارية مقارنة

د. محمد السيد محمد أبو رحاب
مدرس العمارة والآثار الإسلامية
كلية الآداب– جامعة أسيوط
abourehab@ymail.com

ترتب على هزيمة الجيوش الموحدية في موقعة العُقاب بالأندلس (609هـ/ 1212م) أمام القوات المتحدة للممالك المسيحية الإسبانية[1]، تفكك أوصال الدولة الموحدية الكبرى، وضعف سيطرتها على أملاكها بالمغرب والأندلس، و لم ينته النصف الأول من القرن (7هـ/ 14م) إلا وتقاسمت ممتلكاتها أربع دول مستقلة، ثلاث منها بالمغرب، هي دولة بني حفص بالمغرب الأدنى (625هـ/ 1227م)[2] ودولة بني عبد الواد أو بني زيان بالمغرب الأوسط (633هـ/ 1235م)[3]، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى بعد أن قضت نهائيًا على دولة الموحدين عام (668هـ/

1 ابن عذارى (المراكشي، ت: 695هـ/ 1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1985م، ص 263؛ ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، ت: 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2000م، ج6، ص ص 335- 336.

2 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص ص 380- 382؛ الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم [أواخر القرن 9هـ/ 15م]): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966م، ص ص 24 -25.

3 يحيى بن خلدون (أبو زكرياء بن محمد، ت: 780هـ/ 1378 م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ص 108؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج7، ص 106.

1269م) [1]، أما الدولة الرابعة فقامت بالأندلس، وهي دولة بني نصر أو بني الأحمر بغرناطة (635هـ/ 1237م) [2].

وقد كان بإمكان هذه الدول إعادة توحيد بلاد المغرب والتصدي للخطر النصراني في الأندلس والبحر المتوسط في حالة تعاونها مع بعضها، لكنها ظلت زهاء ثلاثة قرون تتصارع فيما بينها، في الوقت الذي بدأت فيه دول أوربا تتفوق في القوى البحرية والبرية[3].

في الواقع حاولت كل من الدولتين الحفصية والمرينية بسط نفوذها على بلاد المغرب بأسرها، باعتبار أحقية كل واحدة منهما في وراثة الموحدين[4]، وقد نجح المرينيون- الذين كان تاريخهم صورة مصغرة لملحمة الموحدين- في ذلك، فتابعوا سياستهم القائمة على مساعدة المسلمين في الأندلس[5]، واستطاعوا توحيد بلاد المغرب تحت حكمهم في فترتين قصيرتين على عهد كل من أبي الحسن علي (731- 749هـ/1331- 1348م) [6]، وابنه أبي عنان فارس (749- 759هـ/ 1348- 1357م) [7].

1 ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 468؛ ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: 741هـ/ 1340م): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص ص 116- 118.

2 المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت: 1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص 447.

3 مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين (524- 876هـ/ 1130- 1472م)، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982م، ص 112.

4 السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الجزء الثاني- العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 873.

5 للاستزادة حول هذا الموضوع، انظر: ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص 430؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 98، 143- 150؛ ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 776هـ/ 1374م): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347هـ، ص ص 92- 93.

6 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 339- 342، 354- 358؛ ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف النصري، ت: 807- 810هـ/ 1404- 1407م): روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991م، ص 26.

7 ابن خلدون: المصدرالسابق، ج7، ص ص 381- 383، 392- 395؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 29.

وقد جرّهم هذا الطموح- ولا شك- إلى حروب ومنازعات مع بني عبد الواد، ملوك المغرب الأوسط، وبني حفص ملوك المغرب الأدنى، مع الأخذ في الاعتبار أن الصراع بين بني مرين وأبناء عمومتهم وجيرانهم بني عبد الواد بدأ مبكرًا قبل سقوط الدولة الموحدية: ففي عام (647هـ/1249م) سعى يغمراسن زعيم بني عبد الواد للتوغل في المغرب الأقصى، فتصدى له أبو بكر بن عبد الحق المريني وهزمه قرب وجدة، وأجبره على العودة إلى تلمسان[1].

ثم اشتبك الطرفان بعد ذلك في عدة مواقع، في سجلماسة (655هـ/1257م)[2] وكلدامان (657هـ/ 1259م)[3]، ووادي تلاغ (666هـ/1267م)[4]، ووادي إيسلي قرب وجدة (670هـ/ 1272م)[5]، وقد انتصر المرينيون في كل هذه المعارك على بني عبد الواد، بل وقام أبو يوسف يعقوب المريني في المعركة الأخيرة ولأول مرة بحصار تلمسان عاصمة بني عبد الواد[6].

وهو تطور جديد في الصراع المريني الزياني، إذ أصبح حصار تلمسان بعد ذلك من الممارسات المألوفة في الصراع بين هاتين الدولتين، ولعل ذلك يرجع- فضلاً عن رغبة بني مرين في التوسع نحو الشرق- إلى سياسة بني عبد الواد أنفسهم؛ فقد ذكر ابن خلدون أن زعيمهم يغمراسن بن زيان أوصى ابنه عثمان قبل وفاته عام (681هـ/ 1282م): «أن لا يبرز إلى لقائهم- يقصد بني مرين- بالصحراء، وأن يلوذ منهم بالجدران متى سموا إليه»[7].

وهذا ما أكدته الأحداث التاريخية، ففي عام (689هـ/ 1290م) حاصر أبو يعقوب يوسف المريني مدينة تلمسان أربعين يومًا، خرب خلالها مزارعها

1 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 75- 76؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 231- 232.
2 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 234.
3 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 89؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 235.
4 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 115- 116؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 238- 239.
5 ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: 741هـ/ 1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص ص 309- 310؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 243- 245.
6 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 245.
7 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 283.

وضواحيها، ثم رفع الحصار، وعاد إلى المغرب[1]، وبعد هذا الحصار تردد أبو يعقوب يوسف على مدينة تلمسان وحاصرها عدة مرات، في أعوام (695هـ/ 1295م)، (696هـ/ 1296م)، (697هـ/ 1297م)، لكن مكوثه لم يطل كما طال في حصاره الأخير عام (698هـ/ 1290م)[2]، الذي لم ينته إلا بمقتله عام (706هـ/ 1307م)، فقد حاصر تلمسان، وأحاط بها سورًا حفرَ وراءه خندقًا عميقًا زيادةً في تضييق الحصار، وأثناء ذلك كانت جيوشه تتردد على النواحي المجاورة لتلمسان، حتى دخل في طاعته عديد من مدن المغرب الأوسط، وقد شيد بالموضع الذي عسكر فيه قصرًا لسكناه، ومسجدًا جامعًا، وأمر الناس بالبناء، فشيدوا عديدًا من الدور والقصور الفخمة والبساتين، وشيد لهم ما يلزم من حمامات وبيمارستان وأسواق، ثم أحاط كل هذه المنشآت بسور عام (702هـ/ 1303م)[3]، وقد كون كل ذلك مدينة، كانت: «من أعظم الأمصار، وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق، واحتفال بناء، وتشييد منعة»[4]، وقد أطلق على هذه المدينة عدة أسماء، فعرفت بـ «تلمسان الجديدة»[5]، وبـ «منصورة تلمسان»[6]، و«المنصورة»[7]، و«البلد الجديد»[8].

وقد استمر أبو يعقوب يوسف محاصرًا لتلمسان حتى مقتله بقصره في مدينة المنصورة (706هـ/ 1307م)، فقام أبو ثابت عامر الذي تولى بعده بفك الحصار عن تلمسان، وعاد إلى المغرب، فقام آل يغمراسن بتخريب المنصورة المرينية،[9]

1 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 389؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 284.
2 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 385؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 290- 291.
3 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص 386- 387؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 292- 293.
4 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 293.
5 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 387؛ ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 50.
6 الجزنائي (أبو الحسن علي، من أهل القرن 8هـ/ 14م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1991م، ص 62.
7 يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 121؛ابن خلدون : المصدر السابق،ج7، ص 293 .
8 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص ص 309، 415؛ وللاستزادة عن تسميات هذه المدينة، انظر: عبد العزيز محمود لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان - دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م، ص ص 55- 56.
9 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 293، 309.

رغم اشتراط أبو ثابت عامر على عثمان بن يغمراسن بعد فك الحصار، أن: «لا يدخلها، وأن يبقيها على حالها، وأن يتعهد مساجدها وقصورها بالإصلاح وما تحتاج إليه»[1].

وفي عام (714هـ/ 1314م) توجه أبو سعيد عثمان المريني لغزو تلمسان، لكنه عجز عن اقتحامها، فاكتفى بتحطيم قراها ومزارعها المجاورة[2]، وبعد وفاة هذا السلطان عام (731هـ/ 1331م) تولى ابنه أبو الحسن علي الذي توجه عام (735هـ/ 1335م) قاصدًا تلمسان لتصفية أمر بني عبد الواد، فاستولى على عديد من مدن المغرب الأوسط، ثم عسكر بالمنصورة وجددها بعد أن خربها بنو زيان عام (706هـ/ 1307م)- كما سبقت الإشارة- وحاصر تلمسان مدة عامين، انتهى بعدها بفتح البلد الذي عجز عنه ملوك بني مرين قبل أبي الحسن، وقتل الجيش المريني أبا تاشفين سلطان بني عبد الواد وعددًا من أفراد أسرته، وذلك في السابع والعشرين من رمضان عام (737هـ/ 1337م)، ومنذ هذا التاريخ أصبح أبو الحسن المريني سلطان المغربين الأقصى والأوسط[3]، ثم ما لبث أن ضم إليه المملكة الحفصية عام (748هـ/ 1347م)[4].

ولكن ما أن أشيع عن مقتل أبي الحسن عام (748هـ/ 1348م) حتى استرد بنو عبد الواد والحفصيون ملكهم؛ لذلك سعى أبو عنان فارس بن أبي الحسن من جديد لإعادة توحيد المغرب الكبير، فاستولى على تلمسان عام (753هـ/ 1352م)، وقتل أبا سعيد عثمان سلطان بني عبد الواد[5]، ثم استولى على بجاية (754هـ/ 1353م)[6]، وقسنطينة (758هـ/ 1357م)[7]، واستولى على تونس

1 ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 390.

2 ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص 399؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 321.

3 يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص ص 140- 143؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 339-341.

4 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 354- 355.

5 يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص ص 161- 163؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 381.

6 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 383.

7 ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 776هـ/ 1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973- 1977م، المجلد الثاني،=

في نفس العام[1].

ولكن بموت أبي عنان عام (759هـ/ 1357م)، انتهت عظمة المرينيين، وفشلت استعادة المشروع الموحدي في شمال أفريقيا؛ إذ خرجت تلمسان- وكذلك تونس- من سيطرة بني مرين، وإن كان بعض سلاطينهم استطاع استرداد تلمسان لكن لفترات قصيرة، وهم أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (766هـ/ 1359م)[2] وأبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن أيضًا (772 - 774هـ/ 1370 - 1372م)[3] وأخيرًا أبو العباس أحمد بن أبي سالم (791 - 795هـ/ 1388- 1392م)[4] ثم أصبح الحكم المريني بعد ذلك قاصرًا على المغرب الأقصى.

هكذا يتضح في ضوء العرض السابق، طول فترة الوجود المريني بالمغرب الأوسط، وكثرة الحروب والصراعات التي خاضتها الجيوش المرينية والزيانية خلال هذه الفترة، ورغم ما ترتب على هذا الصراع من نتائج سلبية، من أهمها إضعاف قوة هاتين الدولتين معًا، واضطراب أحوالهما الداخلية، فقد كان الهدف من وراء هذا الصراع هو توحيد المغرب الكبير تحت راية واحدة، كما كان له نتائج إيجابية في مجال العمارة والعمران، فقد عرف عن سلاطين بني مرين نشاطهم المعماري، وشغفهم بالبناء والتعمير، ولم يقتصر هذا النشاط على المغرب الأقصى، بل شمل أيضًا الأندلس والمغرب الأوسط، الذي حظي بنصيب وافر من هذا النشاط المعماري[5].

=ص 21؛ ابن الحاج النميري (أبو القاسم برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد، توفي بعد 774هـ/ 1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة ونشر: د. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990م، ص ص 310- 311.

1 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 394- 395.

2 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص ص 412- 413؛ الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، ت: 1315هـ/ 1897م): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج4، ص ص 33- 34.

3 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 438؛ الناصري: المصدر السابق، ج4، ص ص 57- 60.

4 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 446- 447؛ الناصري: المصدر السابق، ج4، ص ص 67- 68.

5 عن المنشآت التي شيدها سلاطين بني مرين بالمغربين الأقصى والأوسط والأندلس، انظر محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني- دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011م، ص ص 81- 127.

فقد أسس أبو يعقوب يوسف المريني- كما سبقت الإشارة- مدينة المنصورة على بعد نحو 2كم من تلمسان الزيانية ، وشيد بها قصرًا لسكناه ومسجدًا جامعًا وحمامات وبيمارستان وأسواق، فضلاً عما شيدته رعاياه من قصور ودور وحدائق وغيرها كما سبقت الإشارة، ولكن قام آل يغمراسن بتخريب هذه المدينة تشفيًا وانتقامًا : «فطمسوا معالمها طمسًا، ونسفوها نسفًا»[1].

لذلك قام أبو الحسن المريني بتجديدها وإحياء معالمها مرة أخرى بعد استيلائه على تلمسان عام (737هـ/ 1337م)[2]، كما لا يستبعد أن تكون المنصورة قد شهدت ازدهارًا عمرانيًا ومعماريًا في فترة حكم أبي عنان فارس، ثم تعرضت هذه المدينة مرة ثانية للهدم والتخريب على يد بني عبد الواد[3]، إذ كانت المنصورة رمز الدولة المرينية، ومقر سلطتها بالمغرب الأوسط، وتدميرها وتخريبها يمثل دليلاً على زوال هذه السلطة وانتهاء الحكم المريني.

وقد وقف ابن مرزوق على مدينة المنصورة بعد تخريبها، وأبدى أسفه على ما وصلت إليه حالة منشآتها وعمرانها، وسجل ذلك في مسنده الذي فرغ من تأليفه عام (772هـ/ 1371م)، بقوله: «فالله حسيب من تسبب في خراب ذلك كله، وهو مجازيه، فلقد محا رسومًا يفخر بها أهل الإسلام، ويعتز بها الدين ما بقيت الأيام»[4]، ثم ظلت مدينة المنصورة مهملة تواجه العوامل الطبيعية وتعدي الإنسان، لدرجة أنها تحولت إلى حقول ومزارع في بعض الفترات من تاريخها[5].

وما زالت هذه المدينة تحتفظ رغم تخريبها بأجزاء من سورها الضخم المشيد من الطابية، وأجزاء من الجدران الخارجية لمسجدها الجامع، وجزء من مئذنته التي شيدت أعلى كتلة المدخل الرئيس للجامع الذي يتوسط واجهته الشمالية(لوحة

1 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 310.
2 يحيى بن خلدون: المصدر السابق، ص 141؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 340.
3 عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 98.
4 ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني، ت: 781هـ/ 1380م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 403.
5 عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 8.

1)، والجزء القائم من هذه المئذنة يمثل الواجهة الشمالية لطابقها السفلي (لوحة 2)، وجزء من الواجهتين الغربية والشرقية لهذا الطابق، بينما تهدمت واجهته الجنوبية المطلة على داخل الجامع، وكذلك تهدم الطابق العلوي أو جوسق هذه المئذنة (لوحة 3)، وهي تتبع في تخطيطها تخطيط المآذن المغربية ذات المسقط المربع، حيث يبلغ طول ضلع قاعدتها 10م، ويبلغ ارتفاع الجزء القائم من هذه المئذنة 38م، بينما قدر ارتفاعها بجوسقها المندثر بنحو 45م[1].

ويشغل جامع المنصورة (شكل 1) مساحة مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 85م، وعرضها من الشرق إلى الغرب 60م[2]، أي أن مساحته الكلية تبلغ 5100م^2، وتخطيطه عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة، الذي يشتمل على ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة (أساكيب) وهى التى تتقدم المحراب مباشرة، تحصر بينها وبين بائكة رواق القبلة المطلة على الصحن ثلاث عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة (شكل 1)، ويشتمل الرواق الشمالي على بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة، أما الرواقان الشرقي والغربي فهما متشابهان تمامًا؛ حيث يتكون كل منهما من ثلاثة بلاطات عمودية على اتجاه جدار القبلة (شكل 1).

وإلى جانب مدينة المنصورة، شيد سلاطين بني مرين وبخاصة أبو الحسن وابنه أبو عنان عديدًا من المنشآت بتلمسان الزيانية وبضواحيها، وبمدينة هُنين أيضًا، من ذلك بناء السلطان أبي الحسن لعديد من قنوات المياه والقناطر والسدود والسقايات والميضآت في مواضع متعددة بداخل تلمسان الزيانية[3]، وفي عام (739هـ/ 1339م) شيد مجموعة معمارية ببلدة العباد قرب تلمسان، كملحق لضريح الصوفي الأندلسي الكبير أبو مدين شعيب بن الحسن (ت: 594هـ/ 1197م)، وقد اشتملت على جامع ومدرسة وحمام وقصر[4]، كما شيد السلطان

1 عبد العزيز لعرج: المرجع نفسه، ص 144.

2 Marçais (G.), L'Architecture Musulmane d»occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, 1954, p. 274.

3 ابن مرزوق: المصدر السابق، ص ص 417- 418؛ عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 69.

4 ابن مرزوق: المصدر السابق، ص ص 403- 404؛ عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 69؛=

أبو الحسن أيضًا جامعًا بمدينة هُنين[1].

أما السلطان أبو عنان، فقد شيد بالضاحية الشمالية الشرقية لتلمسان الزيانية مجموعة معمارية تخليدًا لذكرى الصوفي الأندلسي الكبير أبي عبد الله الشودي المعروف بالحلوي المتوفى بتلمسان عام (705هـ/ 1305م)، وذلك عام (754هـ/ 1353م)، وتضم جامع ومدرسة وزاوية وضريح وميضأة[2].

ولا يزال المغرب الأوسط يحتفظ بنماذج من هذه العمائر التي تجسد إسهام المعمار المريني في الفن المعماري بهذه البلاد، ويتمثل ذلك في جامع ومدرسة سيدي بومدين ببلدة العباد اللذين شيدهما السلطان أبو الحسن، الجامع عام (739هـ/ 1339م)، كما سبقت الإشارة، أما المدرسة فشيدها عام (747هـ/ 1346م)، وكذلك جامع سيدي الحلوي الذي شيده السلطان أبو عنان عام (754هـ/ 1353م).

أما جامع سيدي بومدين (شكل 2)، فيشغل مساحة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 28.45م، وعرضها من الشرق إلى الغرب 18.90م[3]، أي مساحته الكلية تبلغ 537.70م^2، وتخطيطه عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة، الذي يشتمل على بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة، وهي التي تتقدم المحراب مباشرة، تحصر بينها وبين بائكة رواق القبلة المطلة على الصحن خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة، أما الرواق الشمالي فيتكون من بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة، في حين يلاحظ تشابه الرواقان الشرقي والغربي تمامًا؛ حيث يتكون كل منهما من بلاطة واحدة عمودية على اتجاه جدار القبلة (شكل 2).

=Marçais, W., et G., Les Monuments Arabes de Tlemcen, Paris, 1903, pp. 240- 265; Marçais, G., Op. Cit., 276; Bourouiba, R., L>Art Religieux Musulman en Algérie, S. N. E. D., Algeri, 1983, p. 252.

1 ابن مرزوق: المصدر السابق. ص 403.

2 ابن الحاج النميري: المصدر السابق. ص 488؛ عبد العزيز لعرج: المرجع السابق. ص 69؛ Marçais, G., Op. Cit., p. 278.

3 Bourouiba, R., Op. Cit., p. 250.

وتقع مئذنة جامع سيدي بومدين خارج ساحة الصلاة بالجامع؛ حيث شيدت بملاصقة القطاع الشمالي الغربي لواجهته الشمالية (شكل 2)، وهي تتبع في تخطيطها التخطيط المعماري للمآذن المغربية ذات المسقط المربع، إذ تتكون من طابقين مربعين يبلغ ارتفاعهما الكلي من مستوى الأرض 27.50م، ويبلغ طول ضلع طابقها السفلي 4.40م[1]، (لوحة 4).

وأما مدرسة سيدي بومدين (747هـ/ 1346م)، فهي أقدم مدرسة قائمة بالمغرب الأوسط، بل والوحيدة الباقية بهذه البلاد قبل الحكم العثماني[2]، فقد اندثرت كل المدارس التي شيدها سلاطين بني زيان بالمغرب الأوسط، ولم يصلنا شيء ذو قيمة من عمارتها[3].

وتشغل هذه المدرسة مساحة مستطيلة الشكل (شكل 3)، وتخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة أو ممرات مغطاة، أحدها وهو الذي بالجهة الجنوبية يتقدم قاعة الصلاة والدرس، أما الرواقان الجانبيان الشرقي والغربي فيتقدمان مساكن الطلاب التي يبلغ عددها ست حجرات في كل جانب، وقد وزعت هذه المساكن في طابقين ، كما يوجد على يسار بيت الصلاة أربع حجرات مستقلة عن الصحن الأوسط للمدرسة، ويتقدم هذه الحجرات صحن صغير مستطيل مكشوف، وقد كانت تستخدم كسكن خاص لشيوخ المدرسة، وعلى يمين بيت الصلاة توجد مساحة مستطيلة، ربما كانت تستخدم كخزانة للكتب، كما ألحق بالمدرسة ميضأة تلاصق القطاع الشمالي الغربي لواجهتها الشمالية (شكل 3).

أما آخر الآثار المرينية الباقية بالمغرب الأوسط، وهو جامع سيدي الحلوي

1 Bourouiba, R., Ibid., p. 272.

2 رشيد بورويبة والدكالي: المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة التاميرا، روتوبريس، مدريد- إسبانيا، 1970م، ص 37.

3 عن المدارس المندثرة التي شيدها سلاطين بني زيان بالمغرب الأوسط، انظر: صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص ص 135- 166.

(754هـ/ 1353م)، فيشغل مساحة مستطيلة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 27.50م، وعرضها من الشرق إلى الغرب 17.40م[1]، (شكل 4)، أي أن مساحته الكلية تبلغ 478.50م^2، وهو يتشابه في تخطيطه مع جامع سيدي بومدين السابق ذكره، وإن كان الجامع الأخير أكبر منه مساحة، وتخطيطه عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة، وهو يشتمل على بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة، وهي التي تتقدم المحراب مباشرة تحصر بينها وبين بائكة رواق القبلة المطلة على الصحن خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة، أما الرواق الشمالي فيشتمل على بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة، بينما يتشابه الرواقان الغربي والشرقي تمامًا؛ حيث يشتمل كل منهما على بلاطة واحدة عمودية على اتجاه جدار القبلة (شكل 4).

وتقع مئذنته خارج ساحة الصلاة بالجامع، حيث شيدت بملاصقة الطرف الشمالي الغربي لواجهته الغربية، وهي تشبه مئذنة جامع سيدي بومدين، حيث تتكون من طابقين مربعي المسقط، يبلغ ارتفاعهما الكلي 25.17م، ويبلغ طول ضلع طابقها السفلي 4.67م[2]، (لوحة 5).

وعلى أية حال، فإن هذه النماذج القائمة من العمائر المرينية بالمغرب الأوسط تشير إلى أن نشاط المرينيين المعماري لم يقتصر على المغرب الأقصى، رغم ما اتسم به عصرهم من صراع وحروب مع الزيانيين والحفصيين، فضلاً عن جهادهم بالأندلس لنجدة مسلمي غرناطة، في حين لم يخلف الموحدون- رغم سيطرتهم على كل الشمال الإفريقي- منشآت دينية ذات قيمة معمارية بالمغرب الأوسط[3].

أيًا ما كان الأمر، فإن ما تبقى من منشآت مرينية بالمغرب الأوسط بالإضافة إلى ما ورد في المصادر التاريخية المتاحة عن النشاط المعماري المريني بهذه البلاد، يشير إلى توقف هذا النشاط- أو كاد- عقب وفاة أبي عنان فارس (759هـ/

1 Bourouiba, R., Op. Cit., p. 250.

2 Bourouiba, R., Ibid., p. 272.

3 بورويبة والدكالي: المرجع السابق، ص 21.

1350م)، رغم امتداد سيطرة الدولة المرينية على المغرب الأوسط في عهود ثلاثة من سلاطينها، كان آخرهم أبو العباس أحمد (791- 795هـ/ - 1388- 1392م)- كما سبقت الإشارة-، وهو الأمر ذاته الذي حدث بالمغرب الأقصى، إذ دخلت الدولة المرينية عقب وفاة أبي عنان في طور انحلالها في كل الأصعدة؛ مما يعكس أثر العوامل السياسية والاقتصادية على النمو العمراني وعناصره المعمارية.

وفي المغرب الأقصى شيد المرينيون عديدًا من المساجد الجامعة ومساجد الفروض بعاصمتهم فاس وغيرها من المدن المغربية، كما قاموا بعمل زيادات مهمة ببعض المساجد السابقة على عهدهم، كجامع تازة الموحدي، ومسجد شالة الزناتي، ولا يزال عدد كبير قائمًا من هذه المساجد بحالة جيدة؛ كالمسجد الجامع بفاس الجديد (677هـ/ 1278م) [1]، (شكل 5)، ومسجد شالة، الذي ذكر بعض الباحثين أنه مسجد زناتي، ثم جدد ووسع على يد يعقوب بن عبد الحق نحو عام (675هـ/ 1276م) [2]، بينما نسبه آخرون إلى أبي الحسن علي (ت: 752هـ/ 1351م) [3]، (شكل 6)، وجامع تازة الموحدي الذي شيده الخليفة عبد المؤمن بن علي (529هـ/ 1135م) [4]، ثم زيدت في هذا الجامع زيادات كبيرة في عهد أبي يعقوب يوسف المريني عام (691هـ/ 1292م) غيرت من تخطيطه

1 ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص 162؛ الناصري: المصدر السابق، ج3، ص 89.

2 عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م، ج4، ص 126.

3 Basset, H., et Provençal, E., Chella une Nécropole Mérinide, Paris, 1923, pp. 92- 120.

4 محمد محمد الكحلاوي: العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي- عمائر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار- جامعة القاهرة، 1986م، ص ص 134- 135. تباينت آراء الباحثين حول تاريخ إنشاء هذا الجامع، فذكر جورج مارسيه أنه شيد عام (530هـ/ 1135م)، بينما ذكر هنري تيراس أنه شيد بعد عام (537هـ/ 1142م)، في حين أرجع رشيد بورويبة تاريخ بنائه حوالي عام (539هـ/ 1145م)، انظر: رشيد بورويبة: الطراز الموحدي ومشتقاته: الحفصي، المريني، الزياني، والنصري، بحث نشر في كتاب الفن العربي الإسلامي، الجزء الثاني- العمارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995م،ص 222.

المعماري وشكله الخارجي[1]، (شكل 7)، والجامع الكبير بوجدة الذي شيده أبو يعقوب يوسف (696هـ/ 1296م)[2]، وجامع ابن صالح بمراكش، الذي يُرجح إنشاؤه على يد أبي الحسن علي فيما بين عامي (720- 722هـ/ 1320- 1322م)[3]، (شكل 8)، وجامع الحمراء بفاس الجديد الذي يرجح في ظل التشابه الكبير بينه وبين جامع سيدي بومدين بالعباد الذي شيده أبو الحسن علي عام (739هـ/ 1339م)، أن يكونا من تصميم معمار واحد ولنفس السلطان أبي الحسن علي، وربما كان سابقًا عليه[4]، (شكل 9)، وجامع المدرسة البوعنانية بفاس القديمة (شكل 10)، التي شيدها أبو عنان فارس فيما بين (751- 756هـ/ 1350- 1355م)[5]، وجامع باب الجيسة بفاس القديمة أيضًا (شكل 11)، الذي تباينت الآراء حول تاريخ إنشائه، ففي حين نسبه الضعيف الرباطي (كان حيًا حتى عام 1238هـ/ 1812م)، وكذلك المدرسة المجاورة له إلى السلطان العلوي محمد بن عبد الله (1171- 1204هـ/ 1757- 1790م)[6]، ذكر بعض الباحثين أن التخطيط المعماري لهذا الجامع وتناسق توزيع ملحقاته يرجحان نسبته إلى العصر المريني في القرن (8هـ/14م)[7].

وأخيرًا الجامع الكبير بمدينة رباط الفتح، المعروف بجامع الجزارين، الذي تباينت آراء الباحثين حول نسبته لعصر معين، ما بين العصر المريني، أم شيد على يد المهاجرين الأندلسيين في القرن (11هـ/ 17م)، أم شيد في عهد السلطان محمد

1 محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص ص 152- 153؛
Maslow, B., Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc, Les Éditions d'Art et d'Histoire, Paris, 1934, pp. 18- 19.

2 ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 385.

3 محمد أبو رحاب: جامع ابن صالح المريني بمدينة مراكش- دراسة آثارية معمارية، بحث تحت النشر، في المؤتمر الثالث عشر لاتحاد الآثاريين العرب، طرابلس - ليبيا، 24- 26/10/ 2010م.

4 Marçais, G., Op. Cit., p. 277.

5 محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني، ص 412.

6 الضعيف الرباطي (محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد، كان حيًا حتى عام 1238هـ/ 1812م): تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043- 1238هـ/ 1633- 1812م)، دراسة وتحقيق: محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1988م، ج1، ص 305.

7 Maslow, B., Op. Cit., pp. 92- 93.

بن عبد الله العلوي عام (1181هـ/ 1767م) [1].

كما تبقى عديد من مساجد الفروض التي شيدت في العصر المريني، وهي تعد -على حد علمي- أقدم النماذج الباقية من هذا النوع من المساجد بالمغرب الأقصى، ومن هذه المساجد مسجد أبي الحسن بفاس القديمة (742هـ/ 1341م)[2] (شكل 12)، ومسجد الشرابليين بفاس القديمة أيضًا (شكل 13)، الذي رجح بعض الباحثين نسبته إلى أبي الحسن أيضًا (731- 749هـ/ 1331- 1348م) نظرًا لتشابهه مع مسجد أبي الحسن السابق ذكره[3]، وقد جدد هذا المسجد وزيد في مساحته في عهد المولى سليمان العلوي (1207- 1239هـ/ 1792- 1823م)، وحول إلى مسجد جامع[4]، وإن كان بعض المؤرخين العلويين نسب هذا العمل إلى السلطان محمد بن عبد الله العلوي[5]، ومسجد الزهر بفاس الجديد الذي شيده أبو عنان فارس أوائل رجب عام (759هـ/ 1357م)[6]، (شكل 14)، ومسجد الغربية (السوق الكبير) بفاس الجديد أيضًا، الذي شيده عبد الله الطريفي حاجب السلطان أبي سعيد عثمان المريني عام (810هـ/ 1408م)،[7] ومسجد العباسيين «مسجد الصفصاف» بفاس الجديد الذي ورد ذكره في وقفية مسجد الغربية، ومن هنا يكون مسجد العباسيين أنشئ في تاريخ سابق على عام (810هـ/ 1408م)، الذي شيد فيه مسجد الغربية، ولكن لا يعرف اسم منشئه[8]، ومسجد البيضاء بفاس الجديد أيضًا الذي رجح بعض الباحثين نسبته إلى أبي يوسف يعقوب أو أبي الحسن علي، نظرًا لبناء كل منهما أكثر من مسجد

1 عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج4، ص ص 164، 169.

2 عثمان إسماعيل: المرجع نفسه، ج4، ص ص 154- 155؛
Maslow, B., Op. Cit., pp. 80- 81.

3 عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج4، ص 161؛ Marçais, G., Op. Cit., p. 281

4 ابن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937م، ص 72.

5 الضعيف الرباطي: المصدر السابق، ج1، ص 305.

6 محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م، ص 52؛
Maslow, B., Op. Cit., p. 67.

7 محمد المنوني: المرجع السابق، ص 53؛
Bel, A., Inscriptions Arabes de Fès, Paris, 1918, p. 63.

8 محمد المنوني: المرجع السابق، ص 53.

بفاس الجديد[1]، ومسجدي جزام بن عامر (شكل 15)، ورأس عين أزليتن (شكل 16) بفاس القديمة، فقد رجح بعض الباحثين نسبتهما إلى العصر المريني في نهاية القرن (8هـ/ 14م)، دون تحديد اسم منشئهما[2]، فضلاً عن ذلك، فإن هناك عديدًا من مساجد الفروض ببعض المدن المغربية، وبخاصة مدينة فاس، لم يحدد بعد ما شيد منها في العصر المريني أو في عصور أخرى، وهي بحق جديرة بالبحث والدراسة.

أما بالنسبة للمدارس، فمن المعروف أن الموحدين هم أول من شيد المدارس ببلاد المغرب والأندلس، منذ عهد أول خلفائهم عبد المؤمن بن علي (524- 558هـ/ 1130- 1163م)، وإذا كان لم تصلنا من عصر الموحدين مدارس قائمة، بل ولم يصلنا حتى بقايا من أنقاضها تؤكد وجود مثل هذه المدارس، فإن إشارات المصادر التاريخية والوثائقية إلى بناء الموحدين لهذه النوعية من المنشآت التعليمية تبقى الدليل الوحيد القائم حتى الآن على ظهور هذه المنشآت ببلاد المغرب منذ العصر الموحدي[3]، بينما لم تظهر المدارس في المغرب الأدنى إلا في أواسط القرن (7هـ/ 13م)، عندما شيدت المدرسة الشماعية بتونس عام (647هـ/ 1249م) [4]، أما المغرب الأوسط فقد شيدت فيه أول مدرسة عام (710هـ/ 1310م)، وهي مدرسة أولاد الإمام بتلمسان على يد أبي حمو الأول الزياني،[5] وأما الأندلس فلم تعرف بناء المدارس إلا في عصر دولة بني الأحمر، حيث شيدت المدرسة النصرية على يد السلطان يوسف أبي الحجاج سنة (750هـ/ 1349م)[6].

1 محمد المنوني: نفس المرجع والصفحة.

2 Maslow, B., Op. Cit., pp. 105, 107.

3 محمد الكحلاوي: المدارس المغربية- دراسة أثرية معمارية، بحث نشر في مجلة العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، لندن، يناير 1991م، ص 73.

4 عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981م، ص ص 139- 140؛
Golvin, L., Architecture Musulmane la Madrasa Médiévale, Edisud, 1995, pp. 173- 189.

5 Marçais, G., Op. Cit., pp. 290- 291; Golvin, L., Op. Cit., p. 195.

6 ابن الخطيب: المصدر السابق، المجلد الأول، ص 508؛ أحمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1997م، ص ص 315- 318.

وعلى الرغم من ذلك يُعد المرينيون أعظم بناة المدارس في الغرب الإسلامي؛ فقد اهتموا ببنائها على نطاق واسع، وشيدت على أيدي سلاطينهم مدرسة أو أكثر في كل مدينة من كبريات المدن المغربية آنذاك، وبخاصة مدينة فاس عاصمة ملكهم، ولئن كان العدد الأكبر من هذه المدارس قد اندثر، فلا يزال باقيًا منها عشر مدارس بحالة جيدة تشهد بالنضج والازدهار الذي بلغه الفن المعماري المريني، وهي بحسب ترتيبها التاريخي:

مدرسة الشهود أو القاضي بمكناس، شيدها يعقوب بن عبد الحق نحو عام (674هـ/ 1275م) (شكل 17)، ومدرسة الصفارين بفاس القديمة شيدها يعقوب بن عبد الحق أيضًا (675هـ/ 1276م) (شكل 18)، ومدرسة دار المخزن بفاس الجديد شيدها أبو سعيد عثمان (721هـ/ 1321م) (شكل 19) ومدرسة الصهريج وملحقتها مدرسة السبعيين بفاس القديمة شيدهما أبو الحسن علي (723هـ/ 1323م) (الشكلان 20- 21)، ومدرسة العطارين بفاس القديمة أيضًا شيدها أبو سعيد عثمان (725هـ/ 1325م) (شكل 22)، والمدرسة الجديدة بمكناس المعروفة خطأ بالبوعنانية شيدها أبو الحسن علي فيما بين (736- 742هـ/ 1336- 1341م) (شكل 23)، ومدرسة سلا شيدها أبو الحسن علي أيضًا عام (742هـ/ 1341م) (شكل 24)، والمدرسة المصباحية بفاس القديمة شيدها السلطان نفسه (747هـ/ 1346م) (شكل 25)، وأخيرًا المدرسة البوعنانية بفاس القديمة أيضًا شيدها أبو عنان فارس فيما بين (751- 756هـ/ 1350- 1355م)[1] (شكل 26).

أما فيما يتعلق بتخطيط هذه العمائر الدينية التي شيدها المرينيون بالمغرب الأقصى، فتكشف المساقط الأفقية للمساجد المرينية اختلاف تخطيطها المعماري عن تخطيط المساجد الموحدية السابقة عليها- إلى حد ما- واختلاف هذا التخطيط تمامًا عن التخطيط المعماري للمساجد التي شيدت على يد الدولتين الحفصية بالمغرب الأدنى والزيانية بالمغرب الأوسط، اللتين تقاسمتا ممتلكات الموحدين ببلاد

1 محمد أبو رحاب: المدارس المغربية، ص 255- 256.

المغرب مع الدولة المرينية، أما بنو نصر فلم تتبق-ومن أسف- أية نماذج من مساجدهم بغرناطة.

إذ يلاحظ أن التخطيط المعماري للمساجد الحفصية الباقية بالمغرب الأدنى لا يتبع التخطيط التقليدي المتعارف عليه للمساجد الجامعة، المكون – في الغالب- من صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة، وإنما تخطيطها عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسط جدارها الجنوبي حنية محراب مجوف، وقسمت هذه المساحة إلى بلاطات بعضها عمودية على جدار القبلة، وأخرى موازية لهذا الجدار، بالتالى لم يعد هناك وجود للصحن التقليدى المكشوف بداخل هذه المساجد، كما هو الحال في جامع القصبة بتونس (629- 633هـ/ 1232- 1235م) (شكل 27) وجامع الهواء بتونس الذي شيد في منتصف القرن (7هـ/ 13م)[1] (شكل 28) وجامع الحلق بتونس (777هـ/ 1375م) (شكل 29)، وجامع باب الأقواس بتونس بداية القرن (9هـ/ 15م) (شكل 30)، وجامع الملاسين بتونس الذي نقشت على مئذنته كتابات تحمل تاريخ (878هـ/ 1435م)، واسم السلطان المنتصر الحفصي[2]، (شكل 31).

كذلك يلاحظ على التخطيط المعماري للمساجد الزيانية الباقية أن تخطيطها- باستثناء جامع سيدي إبراهيم- عبارة عن مساحة مستطيلة أيضًا يتوسط جدارها الجنوبي حنية محراب مجوف، وتنقسم هذه المساحة إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، كما هو الحال في مسجدي سيدي بلحسن (696هـ/ 1296م) (شكل 32)، وأولاد الإمام (710هـ/ 1310م) (شكل 33)، وكلاهما بتلمسان، دون وجود للصحن المكشوف بداخلهما، في حين نجد أن مسجد سيدي إبراهيم بتلمسان أيضًا الذي شيد عام (765هـ/ 1354م)، يتبع التخطيط التقليدي للمساجد الجامعة؛ إذ يتكون من صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة (شكل 34)، وهو يتشابه في تخطيطه تمامًا مع جامعي سيدي بومدين ببلدة العباد قرب تلمسان (739هـ/ 1339م)، وسيدي الحلوي بتلمسان (754هـ/

1 عبد العزيز الدولاتلي: المرجع السابق، ص 150- 178.

2 Marçais (G.), Op. Cit., pp. 459- 461.

1353م) المرينيين (الشكلان 2-4) ، مما يشير إلى تأثره بتخطيطهما، سيما وأنهما سابقان عليه في الإنشاء.

أما المساجد الجامعة المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، فيلاحظ أنها اتبعت التخطيط التقليدي الذي اتبعته المساجد المغربية السابقة على العصر المريني، إذ تكشف مساقطها الأفقية أنها تشغل مساحات مستطيلة، تخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف محاط بأربعة أروقة، أكبرها وأعمقها رواق القبلة، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك كثيرًا من الملامح المعمارية التي تميزت بها تخطيطات هذه المساجد، فمن حيث المساحة يلاحظ صغر المساحة التي يشغلها المسجد المريني بشكل ملحوظ، مقارنةً بالمساجد المغربية السابقة عليه، كما يتضح من الجدول الآتي:

العصر	المسجد	المساحة م²
المرابطي	القرويين[1] بفاس (شكل 35)	5846
الموحدي	تينملل (شكل 36)	2373
	الكتبية الأول المندثر بمراكش (شكل 37)	6864
	الكتبية الثاني بمراكش (شكل 38)	7592
	المنصور بقصبة مراكش (شكل 39)	6205
	حسان بالرباط (شكل 40)	25200
المريني	المسجد الجامع بفاس الجديد (شكل 5)	1836
	جامع تازة الموحدي بعد الزيادة المرينية (شكل 7)	3411
	جامع ابن صالح بمراكش (شكل 8)	1000

ولعل السبب في صغر مساحات المساجد المرينية، يرجع – فيما يبدو- إلى أن المساجد المرابطية والموحدية شيدت في القرنين (5- 6هـ/ 11- 12م)، حيث

لم يكن يسمح أنذاك إلا بتشييد جامع واحد للخطبة في المدينة الواحدة، لذلك كان لا بد لمساحة هذا الجامع أن تتسع لجمهور المصلين بهذه المدينة يوم الجمعة، وفي حالة زيادة الكثافة السكانية بالمدينة، كان يلجأ إلى توسيع وزيادة مساحة الجامع القديم، كما هو الحال في كثير من المساجد الجامعة في المدن الإسلامية المختلفة، كالمسجد الجامع في البصرة والكوفة وبغداد وسامراء وقرطبة والقيروان وغيرها[1].

بينما شيدت المساجد المرينية في القرنين (7- 8هـ/ 13- 14م) بعد أن سمح الفقهاء منذ القرن (7هـ/ 13م) بتعدد جوامع الخطبة في المصر الواحد؛ استجابةً للمصلحة العامة، المتمثلة في توفير الظروف الملائمة للمصلين للقيام بفريضتهم بعد أن ضاق الجامع الوحيد على جمهور المصلين المتزايد بزيادة الكثافة السكانية بالمدن الإسلامية، ومن هنا فإن الجامع المريني لم يشيد ليكون جامع الخطبة الوحيد بالمدينة، الذي يتسع لجمهور المصلين بها، وإنما شيد ليتوزع عليه وعلى غيره من جوامع الخطبة جمهور المصلين بهذه المدينة، كمدينة فاس الجديد التي شيدت في العصر المريني، وشيد بها جامعان للخطبة، هما الجامع الكبير (شكل 5)، وجامع الحمراء (شكل 9).

كما يلاحظ أن مساحة المساجد المرينية أكثر عمقًا منها اتساعًا، أي أن المحراب لم يعد يتوسط الضلعين الطويلين للمسجد (الأشكال 5-7-9-11) باستثناء بعض المساجد المرينية كمسجد شالة، وجامع ابن صالح بمراكش، وجامع المدرسة البوعنانية بفاس القديمة (الأشكال 6-7-10).

والواقع أن هذا التطور في التخطيط لم يكن من مبتكرات المعمار المريني، وإنما ظهرت إرهاصاته الأولى في العصر الموحدي، وذلك في جامع تازة الموحدي قبل الزيادة المرينية، ولكن وفقًا للتخطيط الذي تصوره بوريس ماسلو (Boris Maslow) والذي وضعه بعد أن استبعد كل الزيادات التي تضمنتها اللوحة التأسيسية التي سجلت ما قام به أبو يعقوب يوسف المريني من إضافات وتجديدات

1 محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية. دار الآفاق العربية. القاهرة. 1999م. ص 237.

على هذا الجامع الموحدي[1]، (شكل 41)، مما يجعل هذا التصور أقرب للصحة من التصور الذي وضعه هنري تيراس (Henry Terrasse)، والذي رأى أن جامع تازة عند إنشائه كان على نمط جامع تينملل الموحدي[2]، (شكل 42) ولئن كان هناك تصوران لتخطيط جامع تازة الموحدي كما سبقت الإشارة، فإن هناك جامعًا موحديًا آخر ظهر في تخطيطه بوضوح هذا التطور المعماري، وهو جامع حسان برباط الفتح (شكل 40)، وإن كان هذا الجامع الأخير تميز باشتمال تخطيطه على ثلاثة صحون مكشوفة، في حين لم تعرف تخطيطات المساجد المرينية الباقية سواء بالمغربين الأقصى أو الأوسط ظاهرة تعدد الصحون.

وبخلاف هذين النموذجين، فإن المساجد الموحدية الأخرى الباقية، كجامع تينملل، والكتبية الأول المندثر، والكتبية الثاني بمراكش، وجامع المنصور بقصبة مراكش، وجامع الأندلس بفاس القديمة (الأشكال 36-37-38-39-43) وكذلك جامع القرويين بفاس القديمة السابق على هذه المساجد الموحدية- الذي تجسد عمارته وتخطيطه ثلاثة عصور هي الإدريسي والزناتي والمرابطي- (شكل 35)، جميعها تشغل مساحات مستطيلة، أكثر اتساعًا منها عمقًا [3]، أي أن المحراب يتوسط أحد الضلعين الطويلين للمسجد، وقد تميز رواق القبلة في هذه المساجد بكثرة عدد بلاطاته، التي وزعت في مساحات مستطيلة أيضًا أكثر اتساعًا منها عمقًا، في حين شغل الصحن مساحة مستطيلة صغيرة- إلى حد كبير- إذا ما قورنت بالمساحة التي يشغلها رواق القبلة، ويرجع ذلك إلى تعدد بلاطات الأروقة الجانبية المحيطة بصحون المساجد الموحدية[4]، وذلك لزيادة المساحة المسقوفة بالجامع لتتسع لأكبر عدد من المصلين، وحمايتهم من شمس الصيف، ومطر وبرد الشتاء، سيما وأن كل مسجد منها كان يمثل جامع الخطبة الوحيد بالمدينة كما سبقت الإشارة.

1 Maslow, B., Op. Cit., pp. 17- 37.

2 محمد الكحلاوي: عمائر الموحدين الدينية، ص 137.

3 Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuaires et Fortersses Al Mohades, Hespéris, Tome VII, Librairie Larose, Paris, 1927, p. 308; Maslow, B., Op. Cit., p. XII.

4 Basset, H., Terrasse, H., Op. Cit., p. 308; Maslow, B., Op. Cit., p. XII.

وللغرض نفسه -وهو زيادة المساحة المسقوفة في المسجد- كانت صحون المساجد تغطى بسحابة من القماش؛ لحماية المصلين عند استخدامها كامتداد للأروقة، وهي ظاهرة عرفتها المساجد الجامعة المغربية منذ وقت مبكر؛ فقد ذكر الجزنائي في سياق حديثه عن زيادة القاضي عبد الله بن داود لجامع القرويين في العصر المرابطي أنه: «جعل له مظال من شقق الكتان تنتشر عليه كل يوم جمعة في زمن القيظ، تحجب بها الشمس عن المصلين العاجزين عن الرواح، البعداء المنازل، الذين لا يجدون محيصًا لتضايق الجامع، وذلك بأن جعل في أطنابها سلبات تجري في بكر موثقة بالرفوف الدائرة على جوانب الصحن ترتفع بها المظال مدة الحاجة إليها، ثم تحط وتزال وتخزن إلى وقت الحاجة إليها أيضًا، وجعل في مواضع منها خرجًا يتنفس منها الهواء، وبقيت كذلك أعوامًا إلى أن تمزقت وأهمل النظر فيها، وبقيت بكرها ظاهرة إلى الآن»[1]، وتشير هذه الرواية المهمة إلى أن تغطية صحون المساجد كانت حلاً آخر إلى جانب التوسعات التي كانت تشهدها المساجد الجامعة، لزيادة المساحة المسقوفة وحماية المصلين، ولكن يبدو أن هذه الحلول لم تكن كافية مع زيادة الكثافة السكانية بالمدن الإسلامية، من هناكان الجواز بتعدد جوامع الخطبة في المصر الواحد في القرن (7هـ/ 13م)- كما سبقت الإشارة-، تحقيقاً لمصلحة المسلمين .

أما المساجد المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، فقد شهدت تغييرًا في الأبعاد بين الصحن ورواق القبلة؛ حيث أصبحت البائكة التي تفصل بينهما تقسم مساحة المسجد إلى قسمين متساويين تقريبًا، وأصبح رواق القبلة قليل العمق، ولا يشتمل إلا على عدد قليل من البلاطات، بينما شغل الصحن مساحة كبيرة بالنسبة للمساحة الكلية للمسجد، هذا إلى جانب قلة عدد بلاطات الأروقة الثلاثة الأخرى المحيطة بالصحن، التي أصبحت تشتمل على بلاطة واحدة، كما هو الحال في الجامع الكبير بفاس الجديد، وجامع الحمراء بفاس الجديد أيضًا، وجامع باب الجيسة بفاس القديمة (الأشكال 5-9-11).

1 الجزنائي: المصدر السابق، ص 67.

وقد استمرت هذه الظاهرة في المساجد الجامعة بالمغرب الأقصى في عهد السعديين- باستثناء الجامع الكبير بتارودانت (شكل 44)- كجامع باب دكالة (شكل 45)، وجامع المواسين (شكل 46)، وجامع أبي العباس السبتي (شكل 47)، وجامع الزاوية الجزولية (شكل 48)، وجميعها بمدينة مراكش[1]، كذلك طبق هذا التقليد في عديد من المساجد العلوية؛ كجامع قصبة هدراش ، وجامع الزيتونة، وجامع قصبة سيدي سعيد بمدينة مكناس[2].

في حين تأثر تخطيط المساجد في البلاد الإسلامية التي خضعت للسيطرة العثمانية منذ القرن (10هـ/ 16م) بالطراز العثماني في تخطيط المساجد الذي يتكون من قسمين: الأول، ويتألف من صحن مكشوف تتوسطه — غالبًا- فسقية للوضوء، وتحيط به أروقة تغطيها قباب ضحلة، وهو الجزء المكشوف من الجامع (الحرم)، أما القسم الثاني أو مكان الصلاة، فتغطيه قبة رئيسة مركزية تكتنفها مجموعة من القباب وأنصافها، ونظرًا لخضوع بلاد الشمال الإفريقي — باستثناء المغرب الأقصى- للسيطرة العثمانية، فقد تأثرت مساجدها بهذا الطراز، كما هو الحال في ليبيا[3]، والجزائر[4]، وتونس[5]، أما المغرب الأقصى الذي يعد البلد العربي

1 محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، القاهرة، 2008م، ص 306.

2 رامي ربيع راشد: عمارة المساجد في عهد المولى إسماعيل العلوي (1082- 1139هـ/ 1672- 1727م) بمدينة مكناس- دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م، ص ص 723- 724.

3 عن التأثيرات العثمانية على العمارة في ليبيا، انظر: صلاح أحمد البهنسي: التأثيرات العثمانية على العمائر والفنون الإسلامية في ليبيا منذ العصر العثماني الأول وحتى نهاية العصر العثماني الثاني (958- 1330هـ/ 1551- 1911م)، بحث نشر في أعمال المؤتمر الثاني لمدونة الآثار العثمانية في العالم حول: العمارة السكنية، النقائش الجنائزية وآليات الترميم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م، ص ص 69- 79.

4 حول تأثر العمارة في الجزائر بالعمارة العثمانية، انظر: عبد العزيز لعرج: مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر، بحث نشر في كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي (3)، الندوة العلمية الرابعة، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، القاهرة، 2002م، ص ص 530- 533.

5 عن التأثيرات التركية على العمارة الدينية بتونس، انظر: محمد الباجي بن مامي: جوامع تونس في العهد العثماني- دراسة تاريخية وفنية ومعمارية، بحث نشر في مجلة جمعية الآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، العدد الأول، القاهرة، يناير 2000م، ص ص 105- 119.

الوحيد الذى لم يخضع للسيطرة العثمانية، فلم يتأثر بهذا الطراز العثماني، الأمر الذي أتاح للمعماريين والصناع المغاربة التطور بفنونهم على الأصول والتقاليد نفسها[1].

وعلى أية حال، فإذا كانت المساجد الجامعة المرينية بالمغرب الأقصى قد تأثرت في تخطيطها بجامعي تازة وحسان بالرباط الموحديين، كما سبقت الإشارة، فإن مئذنة جامع المنصور الموحدي أيضًا بقصبة مراكش، التي استخدمت شبكة المعينات كعنصر رئيس في زخرفة واجهاتها الأربعة، وكسي جزئها العلوى ببلاطات من الزليج المتعدد الألوان (لوحة 6)، اتخذت كنموذجًا للمآذن المرينية (لوحة 7) (الأشكال 49/أ- د، 50/ أ- د، 51/ أ- ج)، وكذلك لعديد من المآذن الحفصية والزيانية[2]، وإن كان ثمة إضافة من المعمار المريني، فتتمثل في التوسع في استخدام الزليج في كسوة الواجهات الأربعة لغالبية المآذن المرينية، بعد أن كان يستخدم- ولأول مرة- كأشرطة ضيقة توجت واجهات مئذنتي جامع الكتبية الثاني بمراكش وجامع المنصور بقصبة مراكش[3]، السابق الإشارة إليها.

أما من حيث التخطيط العام للمساجد الجامعة المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، فيمكن تقسيمها من خلال نظام توزيع البلاطات داخل أروقتها إلى نمطين رئيسيين، الأول عقود بائكاته عمودية على اتجاه جدار القبلة، وهو النمط الشائع في المساجد المرينية- بل والمساجد المغربية السابقة واللاحقة على العصر المريني أيضًا- كالمسجد الجامع بفاس الجديد، وجامع تازة الموحدي بعد الزيادة المرينية، وجامع ابن صالح بمراكش، وجامع الحمراء بفاس الجديد (الأشكال 5-7-8-9)، مع ملاحظة أن رواق القبلة بمساجد هذا النمط يشتمل فضلاً عن البلاطات التي تمتد عقودها عمودية على اتجاه جدار القبلة، على بلاطات عقودها موازية لهذا الجدار، بلغ عددها بلاطة واحدة (أسكوب) تتقدم المحراب مباشرة في كل هذه النماذج

1 حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981م، ص 217؛ محمد أبو رحاب: المرجع السابق، ص ص 310، 537.

2 بورويبة: الطراز الموحدي ومشتقاته، ص 227.

3 ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م، ص ص 27، 52؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 488.

(الأشكال 5-7-8-9).

وأما النمط الثاني فعقود بائكاته موازية لجدار القبلة، ولا يمثله من المساجد الجامعة إلا مسجد شالة، وجامع المدرسة البوعنانية بفاس القديمة، وجامع باب الجيسة بفاس القديمة أيضاً (الأشكال 6-10-11)، بينما انتشر هذا النمط في كل مساجد الفروض المرينية، كمسجد أبي الحسن، ومسجد الشرابليين، ومسجد جزام بن عامر، ومسجد رأس عين أزليتن بفاس القديمة (الأشكال 12-13-15-16)، ومسجد الزهر بفاس الجديد (شكل 14).

وبمراجعة المساقط الأفقية للمساجد المرينية الباقية بالمغرب الأوسط، المتمثلة- كما سبقت الإشارة- في جامع المنصورة أو تلمسان الجديدة (شكل 1)، وجامع سيدي بومدين بالعباد قرب تلمسان (شكل 2)، وجامع سيدي الحلوي بتلمسان (شكل 4)، يلاحظ أن تخطيطها يتفق مع مثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى، التي تتبع النمط الأول، حيث تشغل مساحات مستطيلة أكثر عمقًا منها اتساعًا، أي يتوسط المحراب أحد الضلعين الطويلين للمسجد (الأشكال 1-2-4)، كما يتفق كل من جامعي سيدي بومدين وسيدي الحلوي مع المساجد المرينية بالمغرب الأقصى من حيث صغر المساحة؛ إذ تبلغ مساحة الأول 537.70م^2، بينما تبلغ مساحة الجامع الثاني 478.50م^2، ومن حيث اشتمال رواق القبلة فضلاً عن البلاطات العمودية على جدار القبلة، على بلاطة موازية لهذا الجدار تتقدم المحراب مباشرة، بالإضافة إلى اشتمال كل من الرواق الشمالي، والرواقان الغربي والشرقي لكل منهما على بلاطة واحدة (الشكلان 2-4)، تمامًا كما هو الحال في المساجد المرينية بالمغرب الأقصى، كالمسجد الجامع بفاس الجديد،وجامع ابن صالح بمراكش، وجامع الحمراء بفاس الجديد (الأشكال 5-7-9).

أضف إلى ذلك، فإن مئذنة كل من جامع سيدي بومدين بالعباد قرب تلمسان وجامع سيدي الحلوي بتلمسان (اللوحتان 4-5)، تشبهان مآذن المساجد المرينية بالمغرب الأقصى، التي تأثرت بمئذنة جامع المنصور الموحدي بقصبة مراكش (لوحة 6)، في استخدام شبكة المعينات في زخرفة واجهاتها الأربعة إلى جانب استخدام

بلاطات الزليج أيضًا، وإن كان العصر المريني شهد توسعًا في استخدام الزليج في زخرفة واجهات المآذن، كما سبقت الإشارة.

كذلك فإن ظاهرة إلحاق الجامع بضريح أحد المتصوفة، التي ظهرت في جامعي سيدي بومدين وسيدي الحلوي، قد ظهرت إرهاصتها الأولى في المغرب الأقصى، عندما شيد أبو الحسن المريني مسجدًا جامعًا بجوار ضريح الشيخ محمد بن صالح بمراكش فيما بين (720- 722هـ/ 1320- 1322م)، وأصبح الضريح هو النواة الرئيسة التي التفت حوله عديد من الوحدات مكونة مجموعة معمارية ضخمة (شكل 52)، وقد حدث الأمر ذاته فيما يتعلق بجامعي سيدي بومدين وسيدي الحلوي؛ حيث أصبح الجامع مبنًا ضمن مجموعة معمارية ضمت ضريحًا ومدرسةً وميضأةً وحمامات وغير ذلك، وتُعد هذه المجموعات المرينية الثلاثة أقدم المجموعات المعمارية القائمة- على حد علمي- ببلاد المغرب، مع الأخذ في الاعتبار أن أي جامع كبير لا يخلو تاريخه من هذا التجمع الذي يمثل وحدة متكاملة تستجيب للحاجة ولتعاليم الإسلام في الوقت ذاته[1].

أما جامع المنصورة فإنه يتفق مع المساجد المرينية التي تتبع النمط الأول – كما سبقت الإشارة- من حيث التخطيط العام، لكنه تميز عنها بعديد من الظواهر، فمن حيث المساحة يلاحظ أن مساحته الكلية بلغت 5100م^2، وهو بذلك يعد أكبر مسجد مريني بالمغربين الأقصى والأوسط على حد سواء، وواحدًا من أكبر المساجد المغربية بوجه عام؛ إذ تقترب مساحته من المساجد الموحدية التي امتازت بضخامتها وكبر مساحتها.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كونه جامع الخطبة الوحيد بمدينة المنصورة المرينية؛ إذ لم تشر المصادرالتاريخية – المتاحة- إلى تشييد أبو يعقوب يوسف مؤسس هذه المدينة أو غيره من سلاطين بني مرين لمساجد جامعة أخرى بهذه المدينة، فضلاً عن ذلك فإن مدينة المنصورة لم تكن مدينة ملكية كفاس الجديد المرينية بالمغرب

1 إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م، ج2، ص ص 393-394.

الأقصى، والتي شيدها أبو يوسف يعقوب، لـ: «يتميز بسكناه في حاشيته، وأهل خدمته، وأوليائه الحاملين سرير ملكه»[1]، وقد انعكس ذلك على مساحة جامع الخطبة، الذي شيده هذا السلطان لمدينته؛ إذ بلغت 1836م^2، مما جعل أبو الحسن علي (731- 749هـ/ 1331- 1348م) يشيد جامعًا آخر جديدًا للخطبة، هو جامع الحمراء بالمدينة نفسها؛ ليستوعب – فيما يبدو- أعداد المصلين المتزايد بكثافة سكانها.

وعلى العكس من ذلك، فإن أبا يعقوب يوسف عندما شيد مدينة المنصورة: «أمر الناس بالبناء، فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الأنيقة، واتخذوا البساتين، وأجروا المياه ... فكانت من أعظم الأمصار والمدن، وأحفلها اتساع خطة، وكثرة عمران، ونفاق أسواق»[2]، وفي موضع آخر ذكر ابن خلدون أن المنصورة: «كانت حينئذ غاصة بالساكن، مستبحرة في الاعتمار»[3].

وهذا يفسر – فيما يبدو- زيادة مساحة جامع المنصور المريني عن غيره من المساجد المرينية؛ لاستيعاب جمهور المصلين المتزايد بتزايد كثافة العمران بالمنصورة مع مرور الزمن، باعتباره جامع الخطبة الوحيد بهذه المدينة، يمكن أن يضاف إلى ذلك رغبة أبي يعقوب يوسف في بناء جامعه بهذه الضخامة والاتساع؛ ليعيد إلى أذهان بني زيان ورعاياهم المنجزات الضخمة للموحدين، وأن بنى مرين لا ينقصهم الثراء والقوة التي كانت لأسلافهم الموحدين.

وبخلاف المآذن المرينية التي اتخذت من مئذنة جامع المنصور الموحدي بقصبة مراكش نموذجًا لها، كما سبقت الإشارة، فإن مئذنة جامع المنصورة المريني شيدت على غرار مآذن الموحدين الضخمة في جامع الكتبية الثاني بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح، وجامع إشبيلية بالأندلس[4]، (اللوحات 8- 10)، وتعد مئذنة

1 ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 258.
2 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص ص 292- 293.
3 ابن خلدون: نفس المصدر والجزء، ص 310.
4 السيد عبدالعزيز سالم: روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، بحث نشر في مجلة المجلة، العدد التاسع والعشرون، مايو 1959م، ص 32؛ بورويبة: المرجع السابق، ص 238.

جامع المنصورة آخر المآذن من هذا النوع ببلاد المغرب والأندلس.

وتتميز هذه المآذن الأربعة بارتفاعها وضخامة أبعادها، فعلى سبيل المثال يبلغ طول ضلع القاعدة المربعة لمئذنة حسان 16م، ويبلغ ارتفاعها الحالي – بعد سقوط الأجزاء العلوية التي كانت تكملها- 44م، وقدر بعض الباحثين ارتفاعها الكلي بنحو 81م[1]، كما يبلغ طول ضلع مئذنة الكتبية بمراكش 12.50م، وارتفاعها الكلي 67.50م، ويبلغ طول ضلع مئذنة المنصورة المرينية 10م، وارتفاعها الحالي –بعد سقوط الأجزاء العلوية التي كانت تكملها- 38م، وقدر بعض الباحثين ارتفاعها الكلى بنحو 45م، وبذلك تعد أعلى مآذن المغرب الأوسط[2]، وأكثر مآذن المغرب والأندلس ارتفاعًا بعد المآذن الموحدية السابق الإشارة إليها.

كما تتميز هذه المآذن الأربعة بأنه قد استبدل بسلمها الداخلي طريق صاعد بدون درجات (مرقاة) [3]، ربما كان الهدف منه رفع مواد البناء من أحجار وغيرها على ظهور الدواب بسهولة كلما ارتفع بناء المئذنة[4]، كما أن هذا الطريق الصاعد يسهل مهمة المؤذن الذي ربما يكون متقدمًا في السن، ويضطر لاستخدام دابة للوصول إلى أعلى المئذنة[5]، سيما وأن هذه المآذن تميزت بارتفاعها الشديد كما سبقت الإشارة، ومما يساعد على ذلك اتساع هذا الطريق الصاعد، وارتفاع سقفه؛ إذ يبلغ عرض طريق مئذنة الكتبية 1.30م، وارتفاع سقفه 3.65م[6]، وعرض طريق مئذنة حسان نحو 2م[7]، وقد وردت عديد من الإشارات التاريخية التي تفيد الصعود إلى قمة هذه المآذن على ظهر الدواب

1 Caillé, J., Le Mosquée de Hassan a Rabat, Paris, 1945, pp. 95, 149.

2 عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص 144.

3 صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 52؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ج1، ص 233.

4 عبد الرحمن فهمي محمد: حول مئذنة من روائع الفنون الإسلامية، بحث نشر في مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السنة الثالثة، العدد الثالث، 1398هـ، ص 189.

5 عبد العاطي محمد الورفلي: أوراق أندلسية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1990م، ص 39.

6 محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 233.

7 عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص 189.

عبر الطريق الصاعد الذي بداخلها، من ذلك ما ذكره ابن مرزوق (ت: 781هـ/ 1380م) في مسنده في سياق حديثه عن جامع المنصورة المريني، أن: «صومعته لا تلحق بها صومعة في مشارق الأرض ومغاربها صعدتها غير مرة مع الأمير أبي علي الناصر، وهو رحمه الله على فرسه، وأنا على بغلتي، من أسفلها إلى أعلاها، وكأن في وطء من الأرض»[1]، كما أشار مارمول إلى روايات مشابهة عند حديثه عن مئذنة جامع الكتبية بمراكش[2]، ومئذنة جامع حسان بالرباط[3].

تبقى الإشارة أنه على طول الطريق الصاعد لمئذنة جامع المنصورة المريني، كما هو الحال بالمآذن الموحدية الثلاثة السابق الإشارة إليها، كان يوجد بالبدن المركزي عدة غرف متطابقة، بلغ عددها ستًا أو سبع غرف، غطيت كل منها بقبة أو بأقبية متقاطعة[4]، (شكل 53)، وإن كان لا يعرف على وجه التحديد سبب بناء هذه الغرف، إلا أنه يمكن القول أنها شيدت ليستخدمها أهل الزهد والورع والمتصوفة كخلوات ينقطعون فيها للعبادة، خاصة وأن انقطاع الزهاد بالمآذن ظاهرة قديمة عرفها الغرب الإسلامي منذ عهد الدولة الأموية بالأندلس، حيث أشار عبد الواحد المراكشي في سياق حديثه عن الحكم بن هشام الملقب بالربضي (180- 206هـ/ 796- 822م): «وفي أيامه أحدث الفقهاء أشعار الزهد، والحض على قيام الليل في الصوامع، أعني صوامع المساجد»[5]، كما ذكر التميمي (ت: 603- 604هـ/ 1207- 1208م) في سياق حديثه عن الشيخ أبي يعزى يلنور الذي قدم إلى مراكش بعد عام (541هـ/ 1146م)، و: «اجتمعت به أيضًا بمدينة مراكش كان بعث فيه، فنزل في صومعة المسجد الجامع، وكنت أختلف إليه وأزوره»[6]، وعن هذا الشيخ أيضًا ذكر ابن الزيات أنه: «قدم مراكش بعد عام

1 ابن مرزوق: المصدر السابق، ص 402.

2 مارمول (كربخال، أواخر القرن 10هـ/ 16م): إفريقيا، ترجمة: د. محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1988- 1989، ج2، ص 54.

3 مارمول: نفس المصدر والجزء، ص 130.

4 محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص ص 233، 442؛ عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص 189.

5 المراكشي (عبد الواحد، كان حيًا في النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م، ص 30.

6 التميمي (محمد بن القاسم بن عبد الكريم): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها=

أحد وأربعين وخمسمائة، فحبس في صومعة الجامع أيامًا، ثم خلي سبيله»[1]، كما عرف المشرق هذه الظاهرة أيضًا، فقد اعتكف بالمئذنة التي بالجانب الغربي للجامع الأموي بدمشق عدد من الزهاد والمتصوفة، كان من بينهم أبو حامد الغزالي[2].

ولعل الأمر يختلف بالنسبة لمئذنة المنصورة المرينية التي شيدت في غمار الصراع السياسي والعسكري بين المرينيين والزيانيين؛ إذ يمكن القول إنها كانت تؤدي وظيفتها الدينية، وهي الدعوة للصلاة، وتستخدم أيضًا للمراقبة ورصد تحركات جيوش بني زيان، يساعد على ذلك ارتفاعها الذي كان يزيد عن أربعة أضعاف ارتفاع سور مدينة المنصورة[3]، ولا يستبعد أن تكون الغرف التي بداخلها استخدمت لإقامة الجند المكلف بمراقبة تحركات بني زيان، وليس لإقامة الزهاد والمتصوفة.

أما من حيث التخطيط المعماري لجامع المنصورة، فيلاحظ أنه ينفرد باشتمال رواق قبلته — فضلاً عن البلاطات العمودية على جدار القبلة- على ثلاثة بلاطات تتقدم المحراب مباشرة، تمتد عقودها بموازاة جدار القبلة (شكل 1)، مما يذكر بتخطيط رواق القبلة بجامع حسان بالرباط[4]، (شكل 40)، في حين بلغ عدد هذه البلاطات في كل المساجد الأخرى المرينية التي تتبع النمط الأول سواء التي بالمغرب الأقصى أو الأوسط بلاطة واحدة (الأشكال 2-4-5-7-8-9)، كما أن المساحة المربعة التي تتقدم المحراب بجامع المنصورة- والتي ربما كانت مغطاة

=من البلاد، ص 139. عن: محمد الشريف: المستفاد أو استقطاب التيار الصوفي على عهد الموحدين، بحث نشر في كتاب الغرب الإسلامي نصوص دفينة ودراسات، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ط2، 1999م، ص 25.

1 ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت: 617هـ/ 1220م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: د. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984م، ص 215.

2 ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي، ت: 614هـ/ 1217م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م، ص 187؛ محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 437.

3 عبد العزيز لعرج: المرجع السابق، ص ص 144- 145.

4 عبد العزيز لعرج: المرجع نفسه، ص 129.

بقبة أو بالبرشلة، وهي سقف خشبي مربع المسقط هرمي الشكل أو غير ذلك- تمتد بعرض هذه البلاطات الثلاثة (شكل 1)، وليس بعرض بلاطة واحدة، كما هو الحال في المساجد المرينية الأخرى (الأشكال 2-4-5-7-8-9).

كذلك تميز جامع المنصورة المريني باشتمال الرواقان الجانبيان للصحن، الشرقي والغربي على ثلاث بلاطات عمودية على اتجاه جدار القبلة (شكل 1)، وليس بلاطة واحدة كما هو شائع في كل المساجد المرينية التي تتبع النمط الأول (الأشكال 2-4-5-8-9)، باستثناء جامع تازة بعد الزيادة المرينية التي بلغ عددها بلاطتين (شكل 7).

أما فيما يتعلق بتخطيط المدارس المرينية الباقية بالمغرب الأقصى، والتي بلغ عددها عشر مدارس، كما سبقت الإشارة، فتكشف مساقطها الأفقية أنها تنقسم إلى نمطين رئيسين، أحدهما بسيط والآخر مركب، الأول وهو الشائع في كل هذه المدارس- باستثناء المدرسة البوعنانية بفاس القديمة- يتكون من صحن مكشوف في الوسط بجهته الجنوبية – الشرقية بمدرسة العطارين، والشمالية بالمصباحية بفاس القديمة (الشكلان 22-25)- قاعة مستطيلة للصلاة والدرس، وبكل من الجهتين الغربية والشرقية- بالإضافة إلى الشمالية بمدرسة أبي الحسن بمكناس (شكل 23)- رواق أو ممر مغطى يتقدم مساكن الطلاب، التي وزعت في طابقين أو ثلاثة (الأشكال 17-18-19-20-21-23-25)، وإن كانت بعض هذه المدارس لا تشتمل على مساكن للطلاب بدورها الأرضي، كمدرسة العطارين بفاس القديمة، ومدرسة أبي الحسن بسلا[1]، (الشكلان 22-24).

مع ملاحظة أن قاعة الصلاة والدرس تنقسم في بعض المدارس المرينية التي تتبع هذا النمط إلى قسمين غير متساويين في المساحة بواسطة بائكة ترتكز على أعمدة رخامية أو دعامات من الآجر أو بكليهما معًا، كما هو الحال بمدرسة دار المخزن بفاس الجديد ومدرسة العطارين بفاس القديمة (الشكلان 19-22)، أو ثلاثة

1 محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني، ص 447.

أقسام كمدرسة أبي الحسن بسلا (شكل 24)[1].

أما النمط الثاني وهو المركب، فيوجد منه نموذج واحد فقط يتمثل في المدرسة البوعنانية بفاس القديمة (شكل 26)، وهي آخر المدارس التي شيدت في العصر المريني، وتخطيطها عبارة عن صحن أوسط مكشوف بالجهة الجنوبية منه قاعة مستطيلة مقسمة إلى قسمين غير متساويين في المساحة بواسطة بائكة ترتكز على ستة أعمدة من الرخام، وتستخدم هذه القاعة كمسجد جامع، وبالجهات الغربية والشرقية والشمالية للصحن رواق يتقدم مساكن الطلاب، وتتوسط الجهتين الغربية والشرقية قاعة مربعة للدرس (شكل 26)[2].

وعلى الرغم من وجود نمطين لتخطيط هذه المدارس المرينية- كما سبقت الإشارة- فلا يعني ذلك أن الاختلاف بينهما جوهري؛ إذ أن وجود النمط الثاني لا يعبر إلا عن محاولة فردية من قبل المنشئ لبناء مدرسة ومسجد جامع معًا، ومن هنا فإن الاختلاف في الشكل المعماري جاء تلبية لحاجة الوظيفة؛ لأن جميع المدارس المرينية التي تمثل النمط الأول كانت تؤدى فيها الصلوات الخمس فقط، و لم تقم فيها الخطبة أو الجمعة؛ لكونها لم تكن مساجد جامعة[3].

وإذا كان لم يصلنا شيء من المدارس الموحدية- كما سبقت الإشارة- يمكن من خلاله معرفة تخطيطها المعماري، فإنه يمكن أن نستشف من الوصف المعماري لمدرسة جامع المنصور الموحدية بقصبة مراكش، الذي زودنا به ليون الإفريقي (توفي بعد عام 957هـ/ 1550م)[4]، وأكده مارمول (أواخر القرن 10هـ/ 16م)[5]، أن المدارس المرينية كانت استمرارًا متطورًا للمدارس الموحدية من الناحية المعمارية، والواقع أن هذا التخطيط لم يشتق من تخطيط الربط؛ كرباط هرثمة

1 محمد أبو رحاب: نفس المرجع والصفحة.

2 محمد أبو رحاب: نفس المرجع. ص ص 447- 448.

3 محمد أبو رحاب: نفس المرجع. ص 448.

4 ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان. توفي بعد عام 957هـ/ 1550م): وصف إفريقيا. ترجمة: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي. بيروت- لبنان. ط2. 1983م. ج1. ص ص 132- 133.

5 مارمول: المصدر السابق. ج2. ص 49.

بن أعين بالمنستير (179هـ/ 793م)، ورباط سوسة (206هـ/ 821م)[1] (الشكلان 54- 55)، ولا من تخطيط المساجد الجامعة المغربية،[2] ولا من المدارس السورية[3]، وإنما هو نمط معماري محلي، خضع أولاً وأخيرًا- كغيرها من مدارس العالم الإسلامي- لحاجة الوظيفة المنوطة بها، فضم قاعة للصلاة والدرس معًا، ومساكن لسكنى الطلاب والشيوخ المرتبين بها، وميضأة لتزويدها بالماء، وصحن مكشوف لتزويد هذه الوحدات المختلفة بالتهوية والإضاءة، ومتأثرًا- هذا النمط- بالظروف المناخية لهذه البلاد، فقد كان لشدة برودتها وكثرة أمطارها أثرهما في استخدام أسطح خشبية مائلة على هيئة جمالونات، ساعد على عملها توفر الأخشاب الجيدة بها، وكان لذلك أثره في غلق قاعة الصلاة والدرس، إلا من فتحة باب واحدة أو ثلاث، تفتح على الصحن، يمكن التحكم في فتحها وغلقها صيفًا وشتاءً، كما يتقدم مساكن الطلاب أروقة أوممرات مغطاة لتجنبهم البلل عند سقوط الأمطار[4].

أما مدرسة سيدي بومدين التي شيدها أبو الحسن المريني عام (747هـ/ 1346م) ضمن مجموعته المعمارية بالعباد قرب تلمسان (شكل 3)، فيلاحظ أن تخطيطها يتفق مع مثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى، التي تتبع النمط الأول البسيط (الأشكال 17- 25). وعلى الرغم من ذلك فقد تميز تخطيط مدرسة العباد بظاهرة انفردت بها عن كل المدارس المرينية، سواء التي تتبع النمط الأول أو المدرسة البوعنانية التي تمثل النمط الثاني، وهي ظاهرة تعدد الصحون؛ إذ يوجد على يسار قاعة الصلاة والدرس بهذه المدرسة أربع حجرات مستقلة عن الصحن المكشوف، الذي يتوسط المدرسة (شكل 3)، كانت تستخدم كسكن خاص بشيوخ المدرسة، وقد تطلب هذا الوضع المعماري وجود صحن مكشوف يشغل مساحة صغيرة مستطيلة تفتح عليه هذه الحجرات لتزويدها بالتهوية والإضاءة؛

1 Marçais, G., Op. Cit., pp. 285, 293.

2 أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني- العصر الأيوبي، دار المعارف بمصر، 1969م، ص ص 185، 189.

3 Hoag, J., Islamic Architecture, New York, p. 26.

4 محمد أبو رحاب: المرجع السابق، ص ص 455- 456.

نظرًا لقلة -أو انعدام- عدد النوافذ الخارجية بواجهات هذه المدرسة وغيرها من المنشآت المغربية؛ نظرًا للبرودة الشديدة بهذه البلاد، لذلك كان اعتماد الوحدات المختلفة في تغذيتها بالضوء والهواء على النوافذ الداخلية المطلة على الصحن.

وعلى أية حال، فإن اشتمال مدرسة سيدي بومدين المرينية بالعباد على صحنين، تبقى الدليل الوحيد على وجود ظاهرة تعدد الصحون بالمنشآت الدينية المرينية؛ إذ لم تشهد المدارس والمساجد المرينية الباقية بالمغرب الأقصى هذه الظاهرة، رغم أنها عرفت بهذه البلاد- في ظل النماذج الباقية- منذ العصر الموحدي؛ إذ نجدها في مسجد حسان برباط الفتح (587- 593هـ/ 1189- 1195م)، الذي اشتمل على ثلاثة صحون (شكل 40)، وفي جامع المنصور بقصبة مراكش (591- 594هـ/ 1193- 1196م)، الذي تضمن تخطيطه خمسة صحون،[1] (شكل 39).

ثم ظهرت في العصر السعدي في المدرسة الغالبية المعروفة بمدرسة ابن يوسف بمراكش (972هـ/ 1564- 1565م)، التي اشتملت فضلاً عن صحنها الأوسط المكشوف على ستة صحون جانبية صغيرة مكشوفة، ثلاثة منها بالضلع الجنوبي للمدرسة، تقابلها ثلاثة أخرى بالضلع الشمالي، ووزعت حول كل صحن مجموعة من الحجرات، (شكل 56)، ثم شوهدت هذه الظاهرة بعد ذلك في مدرسة الشراطين العلوية بفاس القديمة (1081هـ/ 1669م)[2] (شكل 57)، وتجدر الإشارة إلى أن المغرب الأدنى قد عرف هذه الظاهرة- في ظل النماذج الباقية- قبل المغرب الأقصى؛ إذ نجدها في جامع المهدية الفاطمي بتونس (305هـ/ 935م) الذي اشتمل على ثلاثة صحون[3].

وعلى أية حال، فقد وضح في ضوء العرض السابق أن الصراع المريني الزياني

1 محمد الكحلاوي: المرجع السابق، ص 398.

2 محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية للأشراف السعديين، ص 354.

3 محمد الكحلاوي: السمات المعمارية بين مساجد دهلي ومساجد الغرب الإسلامي، بحث نشر في كتاب ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، كلية الآثار- جامعة القاهرة، 1998م، ص 52.

لم يخلُ- رغم ما ترتب عليه من سلبيات- من جوانب إيجابية في مجال العمارة والعمران، تمثلت في بناء المرينيين لعديد من المنشآت، ما زال بعضها قائمًا، ويعد – بحق- من روائع الفن المعماري الإسلامي، وقد اتفقت هذه المنشآت مع مثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى إلى حد كبير، كما انفرد بعضها كجامع المنصورة ومدرسة سيدي بومدين بالعباد بظواهر وعناصر معمارية لم تشاهد في المساجد والمدارس المرينية التي بالمغرب الأقصى، رغم تشييدها على يد السلاطين أنفسهم، ولا شك أن دراسة المنشآت المرينية بالمغرب الأوسط ومقارنتها- ليس فقط من خلال التخطيط بل ومن الناحية المعمارية والفنية- بمثيلاتها المرينية بالمغرب الأقصى، تكشف عن مدى حيوية ومرونة الفن المعماري المريني، واستيعابه للتقاليد والأصول القديمة، وتطويرها، وابتكار فن جديد تميز بقوة شخصيته، كذلك فإن دراسة المنشآت المرينية بالمغرب الأوسط جنبًا إلى جنب مع مثيلاتها بالمغرب الأقصى، تكمل صورة معرفتنا بالمنشآت الدينية المرينية، التي تمثل حلقة مهمة من حلقات تاريخ العمارة الإسلامية بشكل عام.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف النصري، ت: 807- 810هـ/ 1404-1407م): روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2 - 1991م.
2. التميمي (محمد بن القاسم بن عبد الكريم ت: 604-603هـ/-1207 1208م): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد. عن محمد الشريف: المستفاد أو استقطاب التيار الصوفي على عهد الموحدين، بحث نشر في كتاب الغرب الإسلامي نصوص دفينة ودراسات، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، ط2 - 1999م.
3. ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي البلنسي، ت: 614هـ/ 1217م): تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت للطباعة والنشر، 1964م.
4. الجزنائي (أبو الحسن علي، من أهل القرن 8هـ/ 14م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2 1991م.
5. ابن الحاج النميري (أبو القاسم برهان الدين بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد، توفي بعد 774هـ/ 1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة ونشر: د. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1990م.
6. ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 776هـ/ 1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973- 1977م.
7. ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت: 776هـ/ 1374م): اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347هـ.
8. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، ت: 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون المسمى المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن

الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2000م.

9. الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم [أواخر القرن 9هـ/ 15م]): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2 1966م.

10. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: 741هـ/ 1340م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

11. ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: 741هـ/ 1340م): الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

12. ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت: 617هـ/ 1220م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: د. أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- جامعة محمد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984م.

13. الضعيف الرباطي (محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد، كان حيًا حتى عام 1238هـ/ 1812م): تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043- 1238هـ/ 1633- 1812م)، دراسة وتحقيق: محمد البوزيدي الشيخي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1988م.

14. ابن عذارى (المراكشي، ت: 695هـ/ 1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1985م.

15. ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان، توفي بعد عام 957هـ/ 1550م): وصف إفريقيا، ترجمة: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2 - 1983م.

16. مارمول (كربخال، أواخر القرن 10هـ/ 16م): إفريقيا، ترجمة: د. محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، 1988- 1989م.

17. المراكشي (عبد الواحد، كان حيًا في النصف الأول من القرن 7هـ/ 13م):

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

18. ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني، ت: 781هـ/ 1380م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

19. المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت: 1041هـ/ 1631م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

20. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، ت: 1315هـ/ 1897م): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

21. يحيى بن خلدون (أبو زكرياء بن محمد، ت: 780هـ/ 1378 م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903م.

المراجع العربية:

1. إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م.

2. أحمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1997م.

3. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، الجزء الثاني- العصر الأيوبي، دار المعارف بمصر، 1969م.

4. رامي ربيع راشد: عمارة المساجد في عهد المولى إسماعيل العلوي (1082-1139هـ/ 1672- 1727م) بمدينة مكناس- دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م.

5. رشيد بورويبة والدكالي: المساجد في الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة التاميرا، روتوبريس، مدريد- إسبانيا، 1970م.

6. السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، الجزء الثاني- العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

7. صالح بن قربة: المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية

للكتاب، الجزائر، 1986م.

8. صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م.

9. عبد العاطي محمد الورفلي: أوراق أندلسية، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1990م.

10. عبدالرحمن بن زيدان: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937م.

11. عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، ترجمة: محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981م.

12. عبد العزيز محمود لعرج: مدينة المنصورة المرينية بتلمسان – دراسة تاريخية أثرية في عمرانها وعمارتها وفنونها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م.

13. عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى،الجزء الرابع، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م.

14. كريزويل ك.أ: الآثار الإسلامية الأولى،ترجمة عبد الهادى عبلة، دار قتيبة ، دمشق، 1984م.

15. ليوبولدو توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، 1971م.

16. محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، القاهرة، 2008م.

17. محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني- دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2011م.

18. محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م.

19. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.

20. محمد محمد الكحلاوي: العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي- عمائر الموحدين الدينية في المغرب، دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار- جامعة القاهرة، 1986م

21. مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين

وبني مرين (524- 876هـ/ 1130- 1472م)، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1982م.

الدوريات العربية:

1. حسين مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1981م.
2. رشيد بورويبة: الطراز الموحدى ومشتقاته- الحفصى، المرينى، الزيانى والنصرى، بحث نشر فى كتاب الفن العربى الإسلامى، الجزء الثانى – العمارة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس، 1995م.
3. السيد عبدالعزيز سالم: روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، بحث نشر في مجلة المجلة، العدد التاسع والعشرون، مايو 1959م.
4. صلاح أحمد البهنسى: التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون الإسلامية فى ليبيا منذ بداية العصر العثمانى الأول وحتى نهاية العصر العثمانى الثانى(-958 1330هـ/1911-1551م)، بحث نشر فى أعمال المؤتمر الثانى لمدونة الآثار العثمانية فى العالم حول: العمارة السكنية، النقائش الجنائزية وآليات الترميم، منشورات مؤسسة التميمى للبحث العلمى والمعلومات، زغوان، تونس، 1998م.
5. عيد الرحمن فهمى محمد: حول مئذنة من روائع الفنون الإسلامية، بحث نشر فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، السنة الثالثة، العدد الثالث،1398هـ.
6. عبد العزيز محمود لعرج: مظاهر التأثير العثمانى على المنتجات الفنية بالجزائر، بحث نشر فى كتاب المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب، دراسات فى آثار الوطن العربى (3) – الندوة العلمية الرابعة، المجلس العربى للدراسات العليا والبحث العلمى ، القاهرة،2002م.
7. محمد الباجي بن مامي: جوامع تونس في العهد العثماني- دراسة تاريخية وفنية ومعمارية، بحث نشر في مجلة جمعية الآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، العدد الأول، القاهرة، يناير 2000م.
8. محمد أبورحاب: جامع ابن صالح المرينى بمدينة مراكش – دراسة آثارية معمارية، بحث تحت النشر، فى المؤتمر الثالث عشر لاتحاد الآثاريين العرب ، طرابلس – ليبيا،24-26/10/2010م.

9. محمد محمد الكحلاوي: المدارس المغربية- دراسة أثرية معمارية، بحث نشر في مجلة العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، دار المريخ للنشر، لندن، يناير، 1991م.
10. محمد محمد الكحلاوى: السمات المعمارية بين مساجد دهلى ومساجد الغرب الإسلامى، بحث نشر فى كتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى، كلية الآثار – جامعة القاهرة، 1998م.

المراجع الأجنبية:

1. Basset, H., et Provençal, E., Chella une Nécropole Mérinide, Paris, 1923.
2. Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuaires et Fortersses Al Mohades, Hespéris, Tome VII, Librairie Larose, Paris, 1927.
3. Bel, A., Inscriptions Arabes de Fès, Paris, 1918.
4. Bourouiba, R., L'Art Religieux Musulman en Algérie, S. N. E. D., Algeri, 1983.
5. Caillé, J., Le Mosquée de Hassan a Rabat, Paris, 1945.
6. Golvin, L., Architecture Musulmane la Madrasa Médiévale, Edisud, 1995.
7. Hillenbrand,R., Islamic Architecteur form, function and meaning, Edinbrgh University Press 1994
8. Hoag, J., Islamic Architecture, New York.
9. Marçais, G., L'Architecture Musulmane d»occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, 1954.
10. Marçais, W., et G., Les Monuments Arabes de Tlemcen, Paris, 1903.
11. Maslow, B., Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc, Les Éditions d'Art et d'Histoire, Paris, 1934.
12. Terrasse,H., Medérsas du Maroc, Editions Albert Morance, Paris 1927.
13. Triki,H.,et Dovifat,A., Medersa de Marrakech, Editions La Croisee de Chemins,1999.

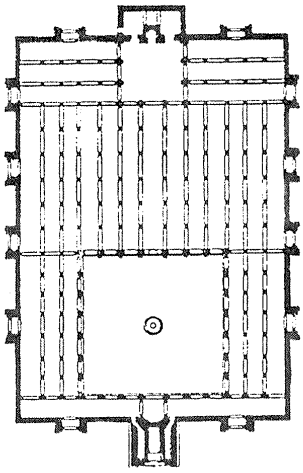

(شكل1) مسقط أفقي لجامع المنصورة المريني بتلمسان.
عن: Marçais, G., L'Architecture fig168

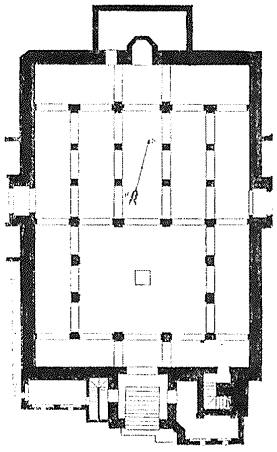

(شكل2) مسقط أفقي لمسجد سيدي بو مدين المريني بتلمسان.
عن: Marçais, W., et G., Les Monuments fig50

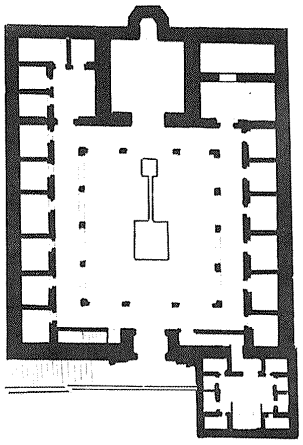

(شكل3) مسقط أفقي لمدرسة سيدي بو مدين المرينية بتلمسان. عن:صالح بن قربة وآخرون: تاريخ الجزائر من خلال المصادر، شكل2، ص 190

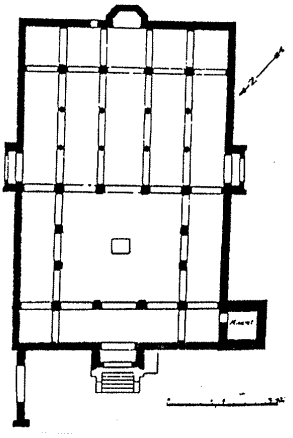

(شكل4) مسقط أفقى لمسجد سيدى الحلوى المرينى بتلمسان.
عن:Marçais, G., L'Architecture fig51

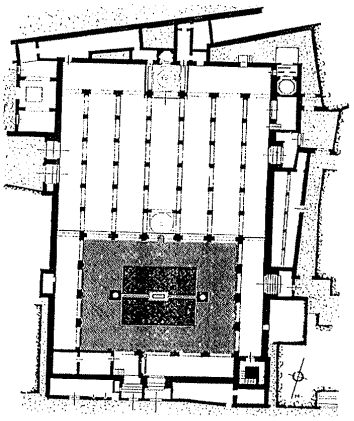

(شكل5) مسقط أفقى للمسجد الجامع بفاس الجديد.
عن: Maslow, B., Les Mosquées PL. 10

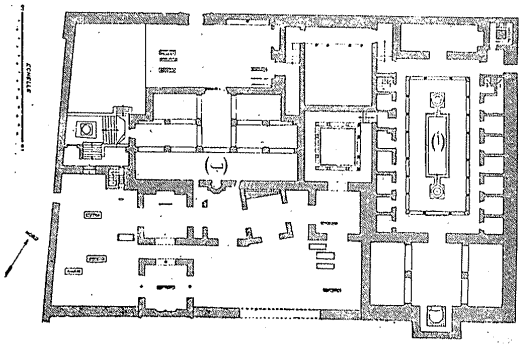

(شكل6) مسقط أفقى لمسجد شالة بعد الزيادة المرينة.
عن: عثمان إسماعيل : دراسات جديدة فى الفنون الإسلامية، شكل9.

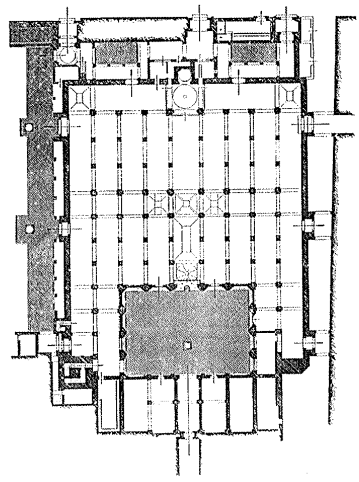

(شكل7) مسقط لجامع تازة بعد الزيادة المرينية.
عن: PL. 6 Maslow, B., Op.Cit

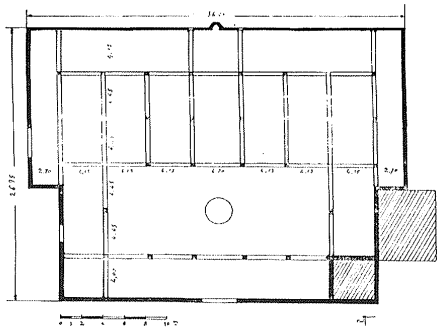

(شكل8) مسقط أفقي لجامع ابن صالح بمراكش. عن:
Basset, H., et Terrasse, H., Sanctuairs, fig153

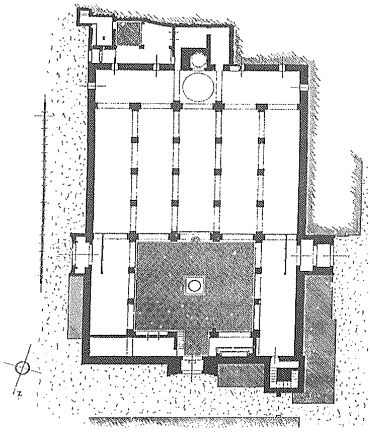

(شكل9) مسقط أفقي لمسجد الحمراء بفاس الجديد.
عن: PL. 15 Maslow, B., Op.Cit,.

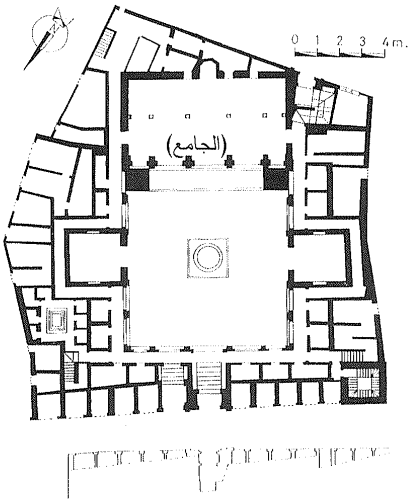

(شكل10) مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بفاس القديمة.
عن: وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس، بتصرف.

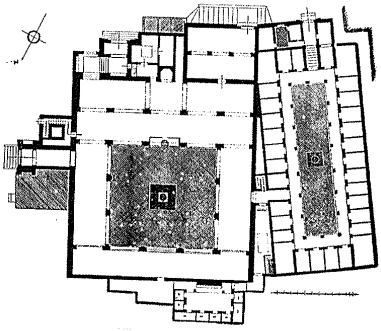

(شكل11) مسقط أفقي لمسجد باب الجيسة بفاس القديمة. عن:
PL. 32 Maslow, B., Op.Cit.

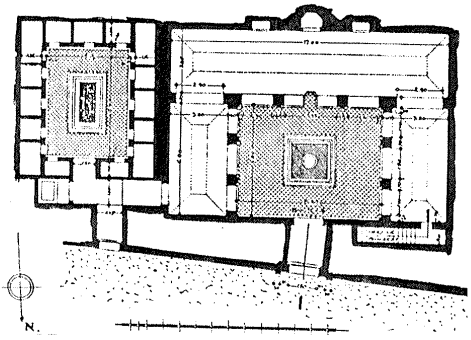

(شكل12) مسقط أفقي لمسجد أبي الحسن بفاس القديمة. عن:
PL.27 Maslow, B., Ibid.

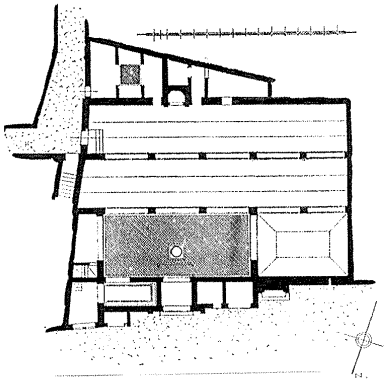

(شكل13) مسقط أفقي لمسجد
الشرابليين بفاس القديمة. عن:
PL. 24 Maslow, B., Ibid.

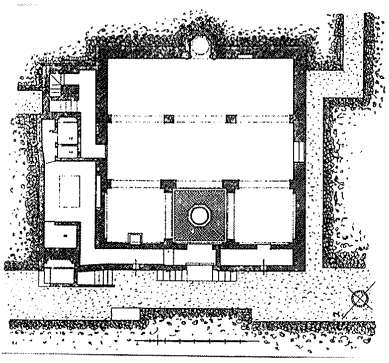

(شكل14) مسقط أفقي لمسجد الزهر
بفاس الجديد. عن:
PL. 20 Maslow, B., Ibid.

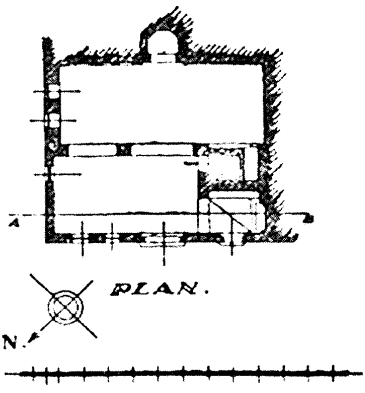

(شكل15) مسقط أفقي لمسجد جزام
بن عامر بفاس القديمة. عن:
PL. 38 Maslow, B., Ibid.

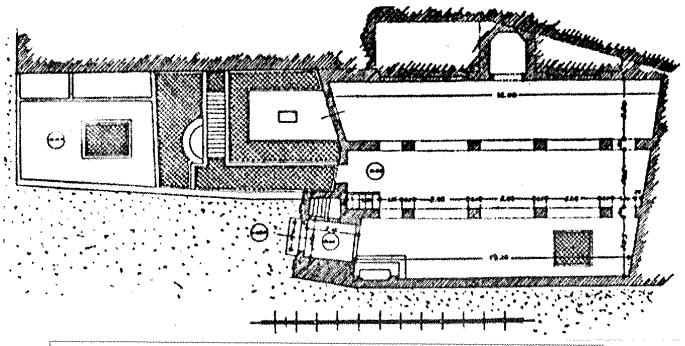

(شكل16) مسقط أفقي لمسجد رأس عين أزليتن بفاس القديمة.
عن: PL. 40 Maslow, B., Ibid

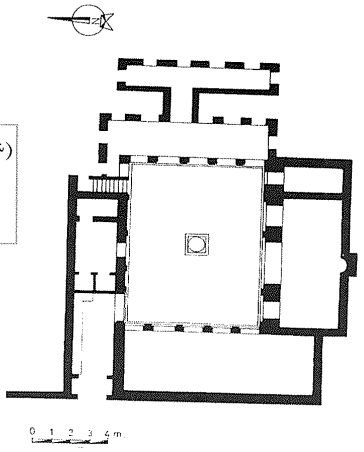

(شكل17) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة القاضي بمكناس.
عن: مديرية التراث الثقافي المغربية، بتصرف.

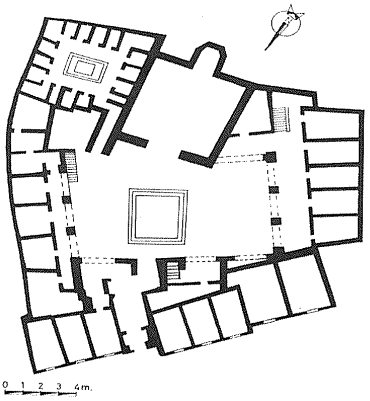

(شكل18) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة الصفارين بفاس القديمة.
عن: وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

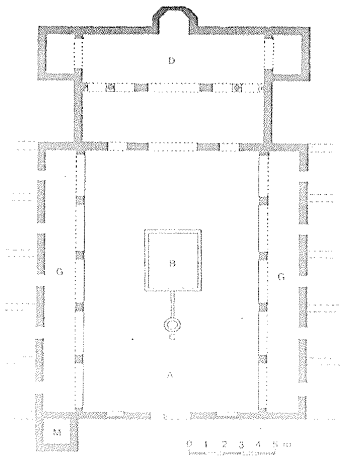

(شكل19) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة
دار المخزن بفاس الجديد. عن:
Golvin, L., La Madrasa Médiévale, pl.64., p.227. .

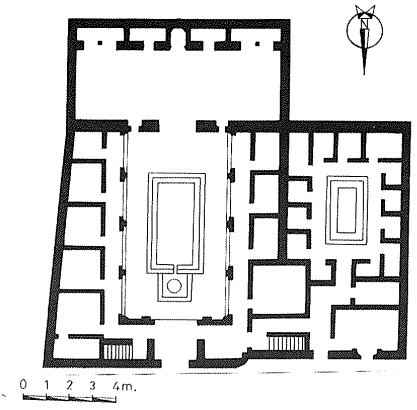

(شكل20) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة
الصهريج بفاس القديمة. عن:
وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

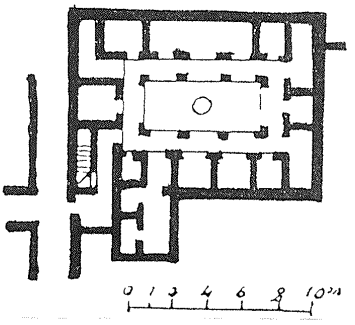

(شكل21) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة
السبعيين بفاس القديمة. عن:
وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

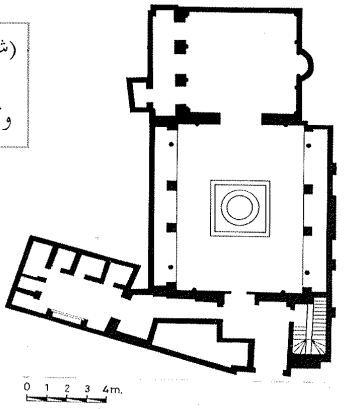

(شكل22) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة العطارين بفاس القديمة. عن: وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

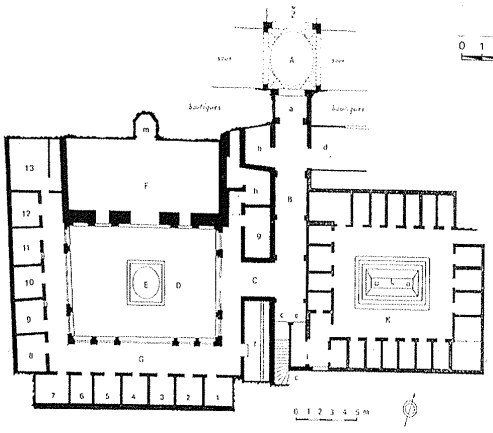

(شكل23) مسقط أفقي للدور الأرضي للمدرسة الجديدة بمكناس. عن: Golvin, L., La Madrasa Médiévale, pl.73p.249.

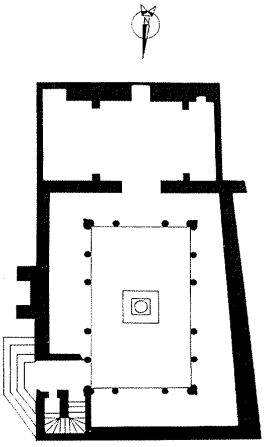

(شكل24) مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة أبي الحسن بسلا. عن: Terrasse,H., Medersas du Maroc, Paris 1927.p.16.

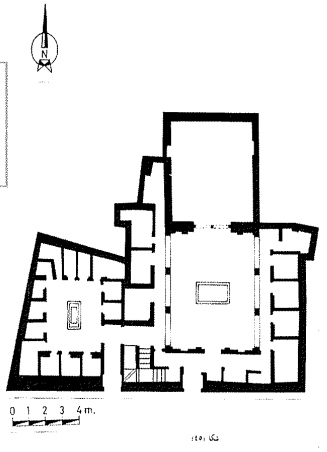

(شكل25) مسقط أفقي للدور الأرضي للمدرسة المصباحية بفاس القديمة. عن:
وكالة التخفيض من الكثافة وإنقاذ مدينة فاس.

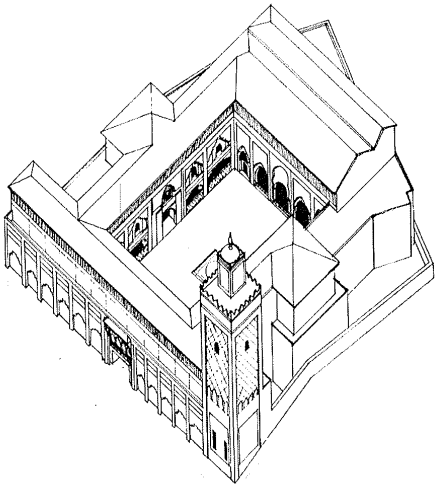

(شكل26) منظور للمدرسة البوعنانية بفاس القديمة. عن:
Hillenbrand,R., Islamic Architecteur form, function and meaning, Edinbrgh University Press 1994 p.245, fig4,161.

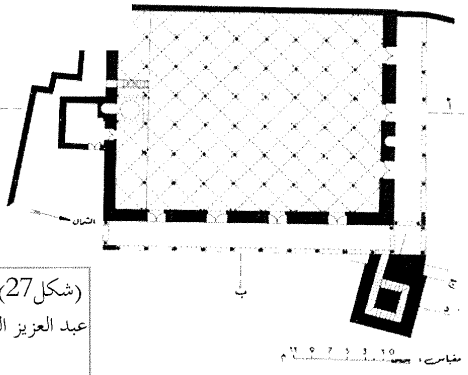

(شكل27) مسقط أفقي لجامع القصبة بتونس. عن:
عبد العزيز الدولاتلي: مدينة تونس في العهد الحفصي، شكل 24، ص 151.

(شكل28) مسقط أفقي لجامع الهواء بتونس.
عن: عبد العزيز الدولاتلي: المرجع نفسه،
شكل43، ص. 171.

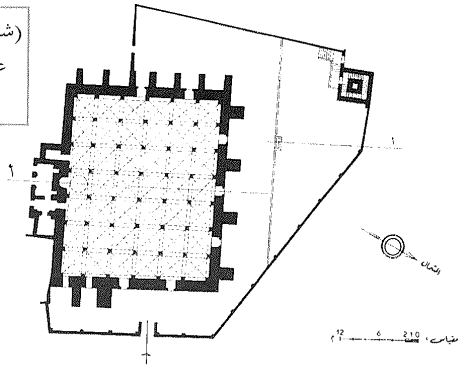

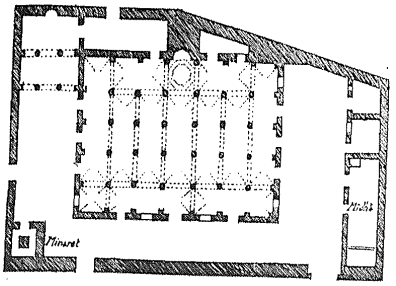

(شكل29) مسقط أفقي لجامع الحلق
بتونس. عن:
Marçais, G., Op.Cit,
fig.260, p.459.

(شكل30) مسقط أفقي لجامع باب الأقواس
بتونس. عن:
Marçais, G., Ibid.,fig.261, p.460

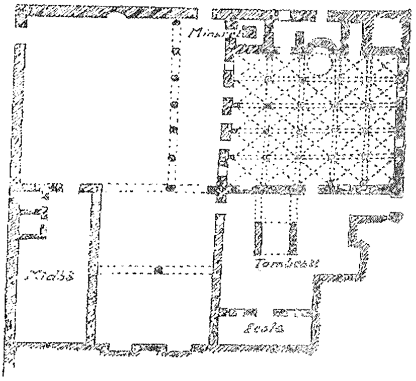

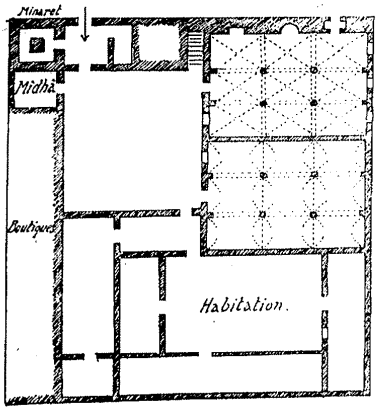

(شكل31) مسقط أفقي لجامع الملاسين بتونس.
عن: Marçais, G., Ibid.,fig.262, p.461

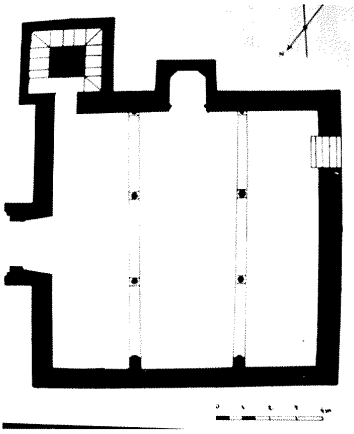

(شكل32) مسقط أفقي لجامع سيدى بلحسن بتلمسان. عن:
Bourouiba, R., L'Art Religieux Musulman en Algérie, fig.42.

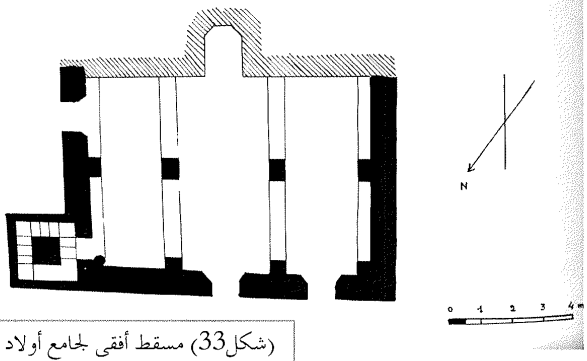

(شكل33) مسقط أفقي لجامع أولاد الإمام بتلمسان. عن:
Bourouiba, R., Ibid., fig.43.

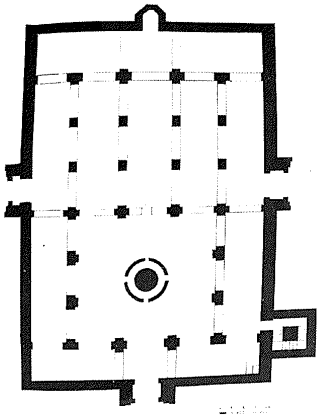

(شكل34) م سقط أفقى لجامع سيدى إبراهيم
بتلمسان. عن:
Bourouiba, R., Ibid., fig.44.

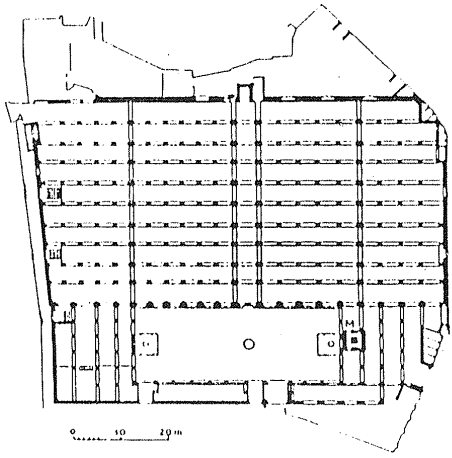

(شكل35) مسقط أفقى لجامع القرويين
بفاس القديمة. عن:
Marçais, G., Op.Cit,
fig.128, p.199.

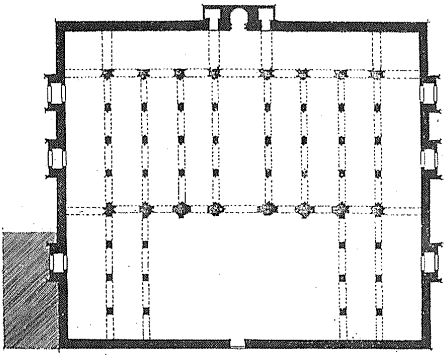

(شكل36) مسقط أفقى لجامع تينملل
الموحدى. عن:
محمد الكحلاوى: عمائر الموحدين الدينية،
شكل11.

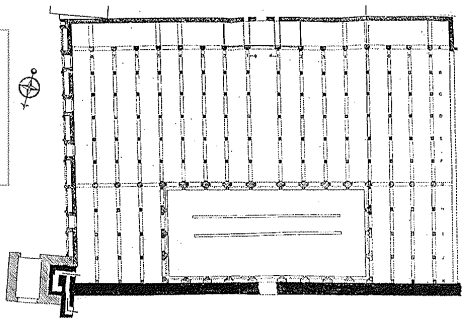

(شكل37) مسقط أفقي لجامع الكتبية الأول بمراكش. عن: محمد الكحلاوى: المرجع نفسه، شكل10.

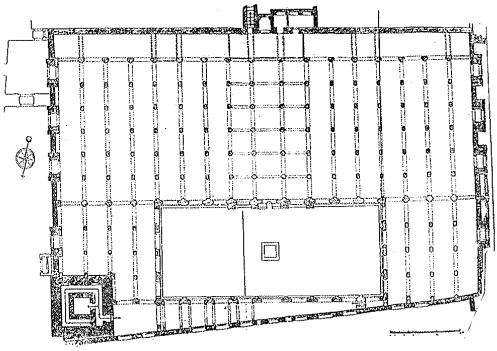

(شكل38) مسقط أفقي لجامع الكتبية الثاني بمراكش. عن: محمد الكحلاوى: المرجع نفسه، شكل15.

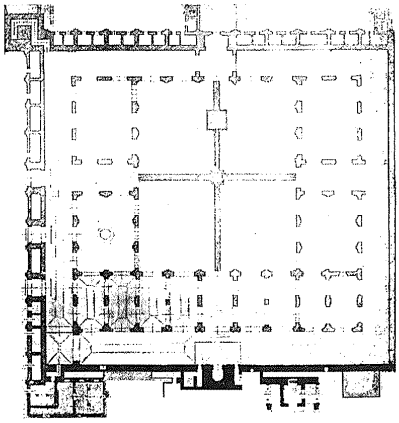

(شكل39) مسقط أفقي لجامع المنصور بقصبة مراكش. عن: Deverdun,G; Marrakech des Origines, PLXXVIII.

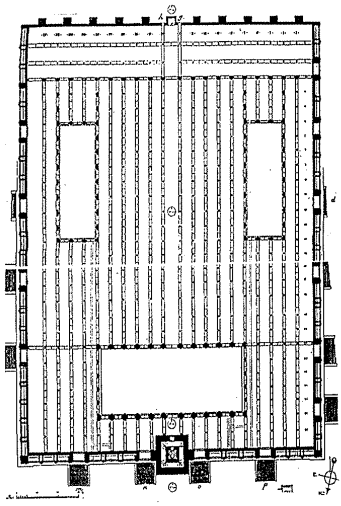

(شكل40) مسقط أفقى لجامع حسان بالرباط.
عن:
محمد الكحلاوى: المرجع السابق، شكل 28.

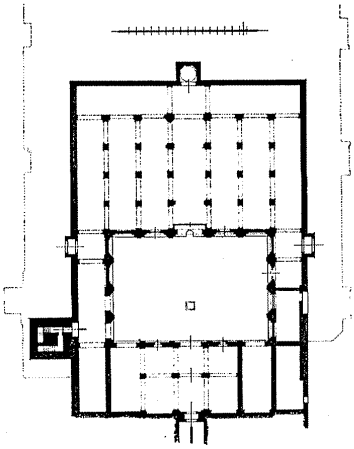

(شكل41) مسقط أفقى لجامع تازة الموحدى.
عن: Maslow, B., Op.Cit,fig.5

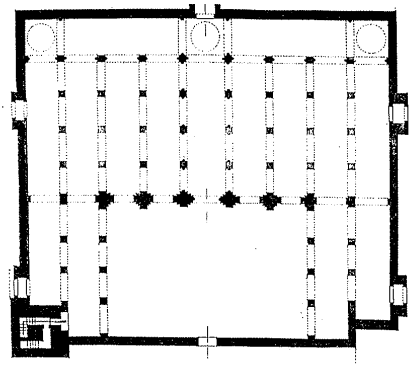

(شكل42) مسقط أفقى لجامع تازة الموحدى.
عن: محمد الكحلاوى: المرجع السابق، شكل6.

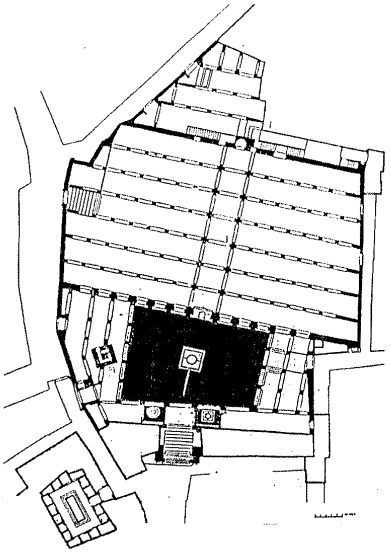

(شكل43) مسقط أفقي لجامع الاندلس بفاس القديمة. عن:
محمد الكحلاوي: المرجع انفسه، شكل45.

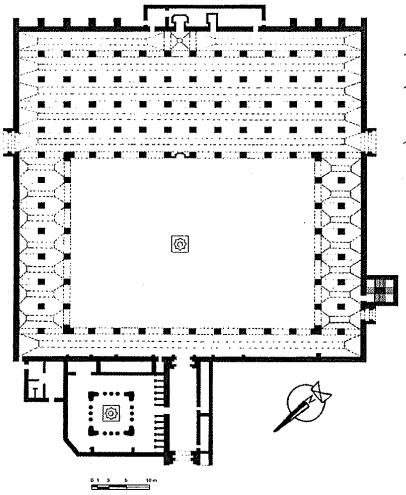

(شكل44) مسقط أفقي للجامع الكبير بتارودانت. عمل الباحث.

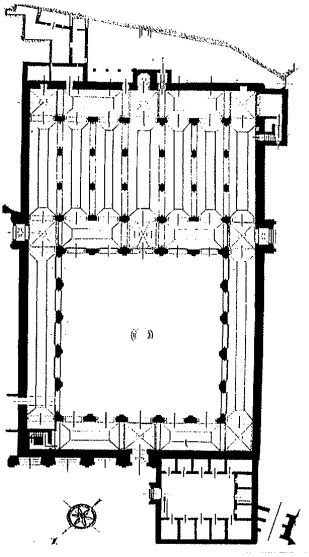

(شكل45) مسقط أفقي لجامع باب دكالة بمراكش.
عن: مفتشية المباني التاريخية بمراكش.

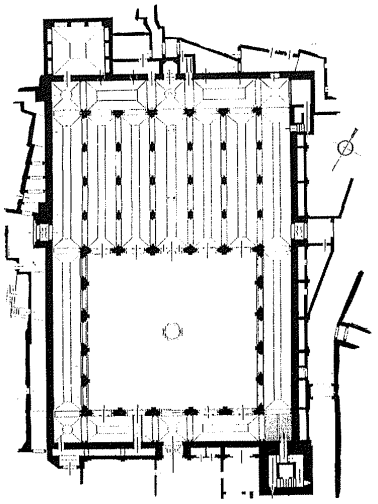

(شكل46) مسقط أفقي لجامع المواسين بمراكش.
عن: مفتشية المباني التاريخية بمراكش.

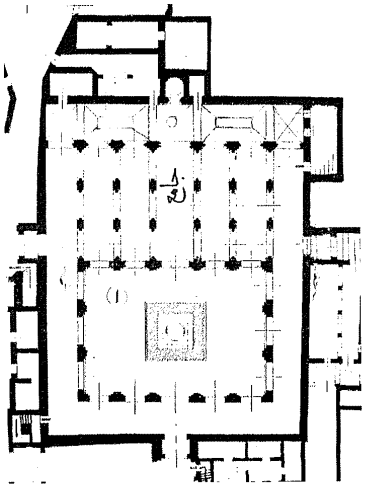

(شكل47) مسقط أفقي لجامع أبي العباس السبتي بمراكش. عن:
مفتشية المباني التاريخية بمراكش، بتصرف.

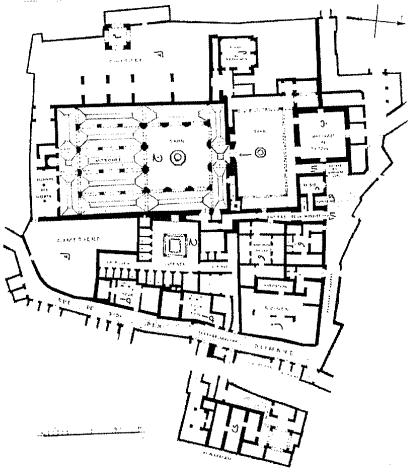

(شكل48) مسقط أفقي للزاوية الجزولية بمراكش. عن:
مفتشية المباني التاريخية بمراكش، بتصرف.

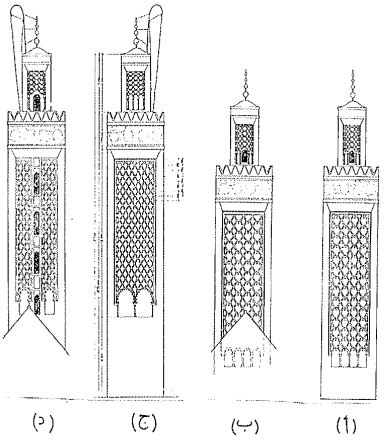

(شكل49/ أ- د) شكل توضيحي لمئذنة الجامع الكبير بفاس الجديد عن.
Maslow, B., Op.Cit,figs,12-13.

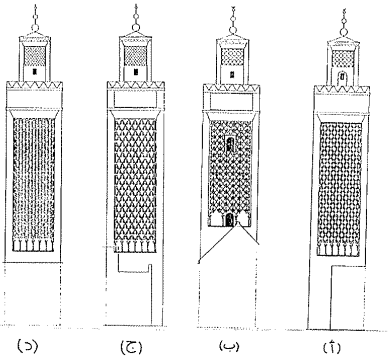

(شكل50/ أ- د) شكل توضيحي لمئذنة جامع الحمراء بفاس الجديد. عن:
Maslow, B., Op.Cit,figs,17-18..

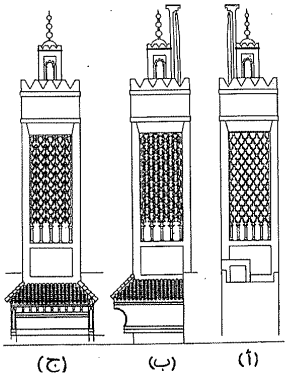

(شكل51/ أ- ج) شكل توضيحي لمئذنة جامع الشرابليين بفاس القديمة. عن:
Maslow, B., Op.Cit,fig,26..

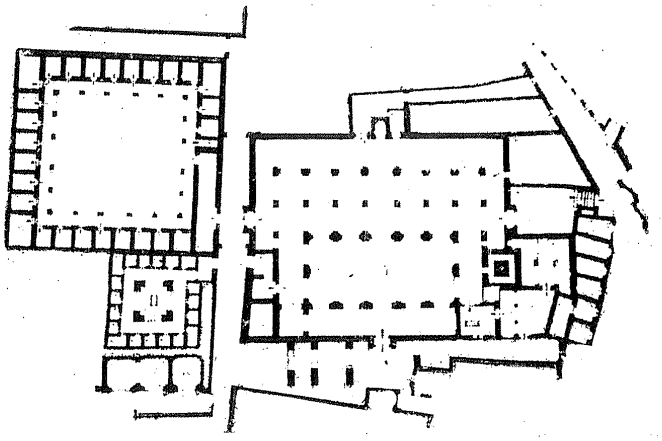

(شكل52) مسقط أفقي لجامع ابن صالح بمراكش.عن:
Deverdun,G; Marrakech des Origines, PLXXXI

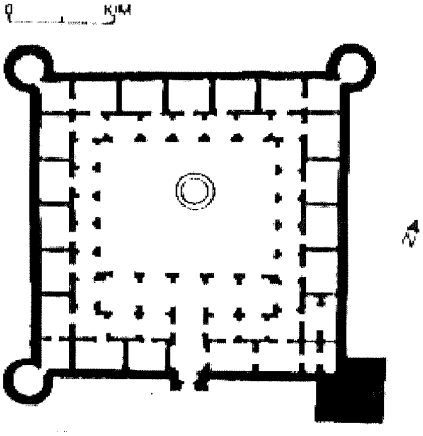

(شكل54) مسقط أفقي للدور الأرضي
لرباط المنستير بتونس عن:
Hillenbrand,R., Ibid., fig,5.6.

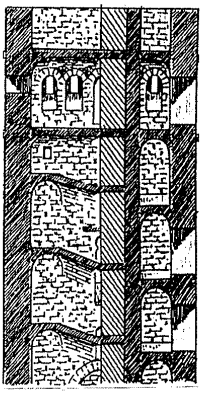

(شكل53) قطاع رأسي لمئذنة جامع
المنصورة المرينى بتلمسان. عن:
Hillenbrand,R., Op.Cit,
fig,3-37.

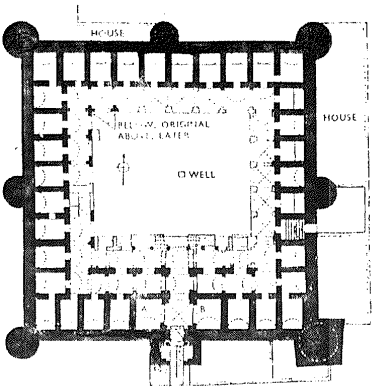

(شكل55)مسقط أفقي للدور الأرضي
لرباط سوسة بتونس.
عن: كريزويل: الآثار الإسلامية الأولى،
ص310، شكل46.

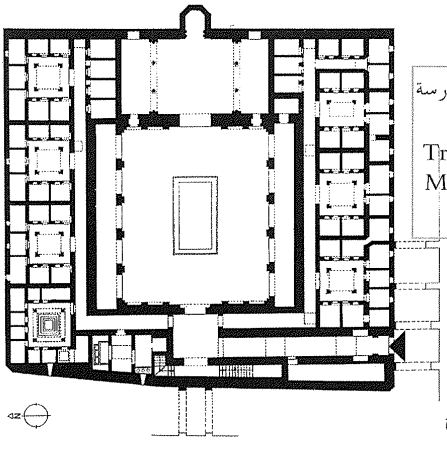

(شكل56)مسقط أفقي للدور الأرضي للمدرسة
الغالبية بمراكش. عن:
Triki,H.,et Dovifat,A., Medersa de Marrakech, Editions La Croisee de Chemins,1999,fig,164.

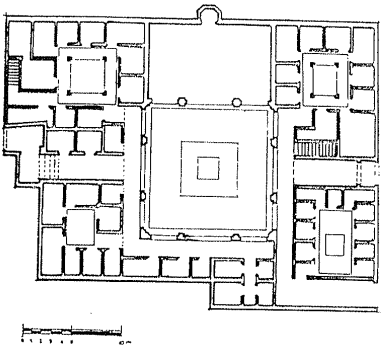

(شكل57)مسقط أفقي للدور الأرضي لمدرسة
الشراطين بفاس القديمة عن:
محمد الكحلاوي: المدارس المغربية، شكل10.

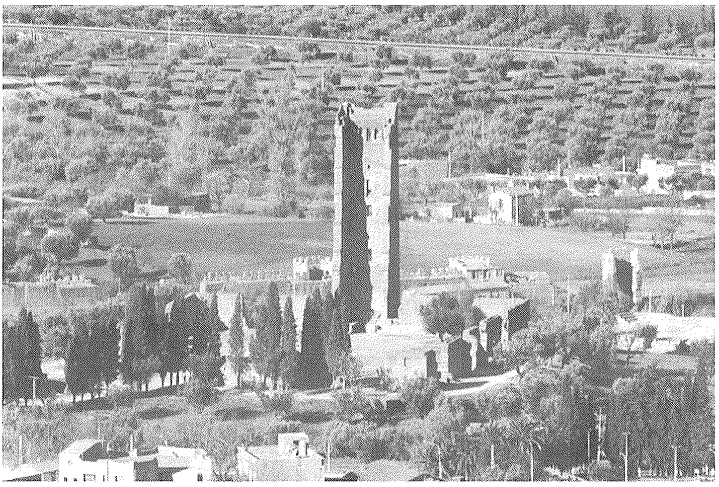

(لوحة 1) بقايا منشات مدينة المنصورة المرينية بتلمسان عن:
http://www.google.com.eg/search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%

(لوحة 2) الواجهة الشمالية لمئذنة جامع المنصور المرينى بتلمسان عن:
http://www.google.com.eg/search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%

(لوحة 3) الواجهة الجنوبية لمئذنة جامع المنصور المرينى بتلمسان عن:
http://www.google.com.eg/search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%

(لوحة 4) جامع سيدى بومدين ببلدة العباد قرب تلمسان عن:
http://www.google.com.eg/search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%

(لوحة 6) مئذنة جامع المنصور الموحدى بمراكشى
تصوير الباحث.

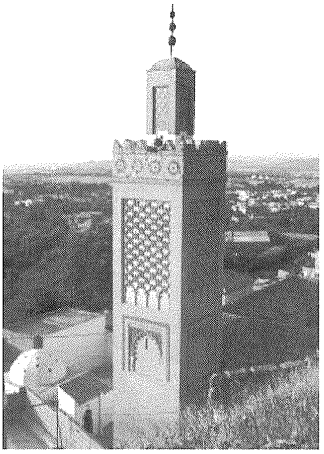

(لوحة 5) جامع سيدى الحلوى بتلمسان عن:
http://www.google.com.eg/
search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%

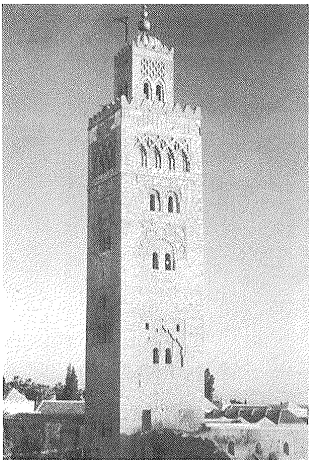

(لوحة 8) مئذنة جامع الكتبية الثانى بمراكشى
تصوير الباحث.

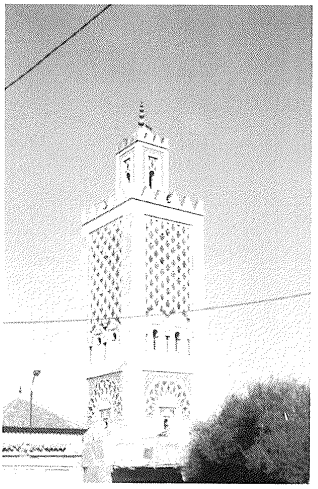

(لوحة 7) مئذنة جامع ابن صالح بمراكشى
تصوير الباحث.

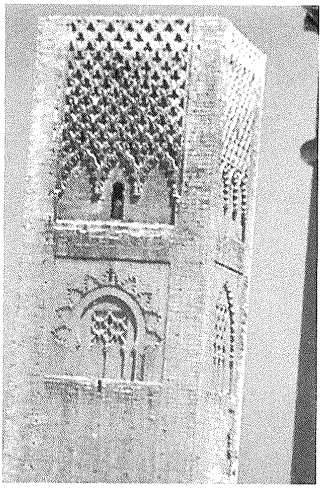

(لوحة 9) مئذنة جامع حسان بالرباط
تصوير الباحث.

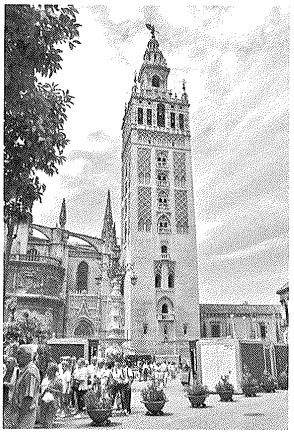

(لوحة 10) مئذنة جامع إشبيلية الموحدى
بالأندلس (الخيرالدا). عن:
http://www.google.com.eg/
search?a=%D8%B5%Dg%88%D8%